١ ـ سعيد بن المُسَيَّب

محدث زاهد، وفقيه فذ، قالوا في وصفه: إنه فقيه الفقهاء، فقد كان أحد فقهاء المدينة السبعة، ولد في السنة الثالثة عشرة للهجرة، إنه سعيد بن المسيَّب ابن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي. وكنيته «أبو محمد».

وكان من الممتحنين في الدين، ولم تأخذه في الله لومة اللائمين. وكان قَوَّاماً. وفقهاء المدينة السبعة هم: «سعيد بن المسيَّب» و«عروة بن الزبير» و«القاسم بن محمد بن أبي بكر» و«أبو بكر بن عبد الرحمٰن بن، الحارث» و«خارجة بن زيد بن ثابت» و«عبيد الله بن عبد الله بن عتبة» و«سليمان بن يسار»، وقد بذُّوا في نسكهم وعبادتهم كل المتعبدين، وكان «سعيد» أوسعهم علماً.

رأي «سعيد» في العبادة:

أخرج «أبو نعيم» في حلية الأولياء: عن معمر، عن بكر بن خنيس، قال: قلت لسعيد بن المسيَّب ـ وقد رأيت أقواماً يصلون ويتعبدون ـ: يا أبا محمد! ألا تتعبد مع هؤلاء القوم؟ فقال لي: يابن أخي! إنها ليست بعبادة، قلت: فما التعبد يا أبا محمد؟

قال: التفكر في أمر الله، والورع عن محارم الله، وأداء فرائض الله تعالى. وعن عطاف بن خالد عن صالح بن محمد بن زائدة: «أن فتية مَن بني ليث كانوا عُبَّاداً، وكانوا يروحون بالهاجرة إلى المسجد، ولا يزالون يصلون حتى يصلى العصر، فقال صالح لسعيد: هذه هي العبادة لو تقوى على ما يقوى عليه هؤلاء الفتيان، فقال سعيد: ما هذه العبادة، ولكن العبادة التفقه في الدين، والتفكر في أمر الله تعالى» [١].

---

(١) حلية الأولياء (٢/ ١٦١/ ١٦٢).

ومن أقواله: (من حافظ على الصلوات الخمس في جماعة فقد ملأ البرّ والبحر عبادة).

وروي أنه اشتكى عينيه، فقيل له: (يا أبا محمد لو خرجت إلى «العقيق» فنظرت إلى الخضرة، فوجدت ريح البرية لنفع ذلك بصرك، فقال سعيد: فكيف أصنع بشهود العتمة والصبح). أي أنه لا يستطيع التفريط بحضور العشاء والفجر مع الجماعة فيكون قد فاته قيام الليل.

حرصه على حضور الجماعة:

كان «سعيد» شديد الحرص على أداء المكتوبة في المسجد مع جماعة المسلمين، فقد روى عطاف بن خالد، عن ابن حرملة، عن سعيد بن المسيَّب، أنه قال: ما فاتتني الصلاة في الجماعة منذ أربعين سنة، حدثنا أبو بكر بن مالك، قال: ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، قال: ثنا وكيع قال: ثنا سفيان، عن أبي سهل ـ وهو عثمان بن حكيم ـ قال: سمعت «سعيد بن المسيَّب» يقول: (ما أذَّن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد).

وعن بُرْد مولى سعيد، قال: ما نودي للصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد، وروى يحيى بن واضح، عن داود بن علية، عن إسماعيل بن أمية، عن سعيد بن المسيَّب، قال: (ما دخل عليَّ وقت صلاة إلّا وقد أخذت أهبتها، ولا دخل عليَّ قضاء فرض إلا وأنا إليه مشتاق).

وروى قتادة قال: قال سعيد بن المسيَّب ـ ذات يوم ـ: (ما نظرت في أقضاء قوم سبقوني بالصلاة منذ عشرين سنة).

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل ﷺ، حدثني الحسن بن عبد العزيز قال: سمعت عمرو بن أبي سلمة، عن الأوزاعي، قال: (كانت لسعيد بن المسيب فضيلة لا نعلمها كانت لأحد من التابعين، لم تفته الصلاة في جماعة أربعين سنة، عشرين منها لم ينظر في أقضية الناس).

وقال «سعيد» عن نفسه: (ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة، وما نظرت في قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة).

وأخرج أبو نعيم في حليته: [حدثنا أبو محمد بن حيان، قال: ثنا أحمد بن

روح، قال: ثنا أحمد بن حامد، قال: ثنا عبد المنعم بن إدريس، عن أبيه، قال: (صلَّى «سعيد بن المسيَّب» الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة) [١].

وروى خالد بن داود ـ يعني ابن أبي هند ـ عن سعيد بن المسيَّب، قال: وسألته: ما يقطع الصلاة؟ قال: الفجور، ويسترها التقوى.

سعيد عابد أواه:

كان «سعيد بن المسيَّب» من العابدين الأواهين، والقانتين المتخشعين لله رب العالمين، قوام ليل، صوام نهار، وكان يسرد الصوم، فقد روى «يزيد بن أبي حازم»: أن «سعيد بن المسيَّب» كان يسرد الصوم. وقال سليمان بن أبي بلال، عن ابن حرملة، قال: سمعت ابن حرملة، قال: سمعت ابن المسيَّب يقول: (لقد حججت أربعين حجة).

وفي حديث ابن إسحاق، قال: ثنا قتيبة بن سعيد، قال: ثنا عطاف بن خالد، عن ابن حرملة، قال: (حفظت صلاة «ابن المسيَّب» وعمله بالنهار، فسألت مولاه عن عمله بالليل، فأخبرني، فقال: وكان لا يدع أن يقرأ بصاد، والقرآن، كل ليلة، فسألته عن ذلك، فأخبر أن رجلاً من الأنصار صلى إلى شجرة، فقرأ بصاد، فلما مر بالسجدة سجد، وسجدت الشجرة معه، فسمعها تقول: اللهم أعطني بهذه السجدة أجراً، وضع عني بها وزراً، وارزقني بها شكراً، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود). فما أحراك أيها الإنسان! بإكثار السجود، للواحد المعبود، الذي غمر نوره الوجود.

سبيل تكريم النفس:

كان «سعيد بن المسيَّب» معتزاً بالله تعالى، رافضاً للذل والهوان، فعن سلام بن مسكين، قال: ثنا عمران بن عبد الله بن طلحة الخزاعي، قال: (إن نفس «سعيد بن المسيَّب» كانت أهون عليه في ذات الله من نفس ذباب). وجاء في حديث الحسن بن عبد الله بن سعيد، قال: ثنا محمد بن عمرو بن سعيد البصري، قال: ثنا محمد بن زكريا، قال: ثنا عبد الله بن محمد، قال: ثنا سعيد بن المسيَّب، قال: (ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله ﷻ، ولا

(١) حلية الأولياء (٢/ ١٦٣).

أهانت أنفسها بمثل معصية الله، وكفى بالمؤمن نصرة من الله أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله).

وجاء في حديث إبراهيم بن محمد بن الحسن، قال: ثنا أبو الربيع الرشديني قال: ثنا ابن وَهْبَ، قال: أخبرني ابن جريج أن عبيد الله بن عبد الرحمٰن أخبره أنه سمع «سعيد بن المسيَّب»، يقول: (يد الله فوق عباده فمن رفع نفسه وضعه الله ـ يعني من تكبَّر على عباد الله أذله الله ـ ومن وضعها رفعه الله ـ أي من ألان جانبه للناس أعلى الله قدره ـ، الناس تحت كنفه، يعملون أعمالهم، فإذا أراد الله فضيحة عبد أخرجه الله من تحت كنفه فبدت للناس عورته) [١].

اللَّهم آمن روعاتنا، وأقل عثراتنا، واستر عوراتنا، ولا تفضح أحداً من المسلمين، يوم الفزع الأكبر، يا أرحم الراحمين! وأبقنا تحت كنفك، وأظلَّنا تحت ظل عرشك يوم لا ظلَّ إلا ظلك، بمنك وكرمك وفضلك يا ذا الفضل العظيم!

رأيه في الدنيا وأهلها:

كان «سعيد» من طلاب الآخرة، فصرف هَمَّه عن الدنيا ولم يشتغل بها، وأعرض عن أهلها، فقد نقل الأصمعي عن سفيان بن عيينة، قال: قال «سعيد بن المسيَّب»: (إن الدنيا نذلة، وهي إلى كل نذل أميل، وأنذل منها من أخذها بغير حقها، وطلبها بغير وجهها، ووضعها في غير سبيلها).

وعن إبراهيم بن أدهم، عن أبي عيسى الخراساني، عن «سعيد بن المسيَّب»، قال: (لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم كيلا تحبط أعمالكم الصالحة). وعن إبراهيم بن إسحاق الحربي، قال: ثنا عبد الله بن عمر، قال: ثنا أبو غسان، قال: ثنا عبد السلام ـ يعني ابن حرب ـ عن يحيى بن سعيد، قال: دخلنا على سعيد نعوده، ومعنا نافع بن جبير، فقالت أم ولده: إنه لم يأكل منذ ثلاث، فكلموه، فقال نافع بن جبير: إنك من أهل الدنيا ما دمت فيها، ولا بد لأهل الدنيا مما يصلحهم، فلو أكلت شيئاً، قال: كيف يأكل من كان على مثل حالنا هذه، بضعة يذهب بها إلى النار أو إلى الجنة؟. فقال نافع:

(١) ذكره أبو نعيم في الحلية (٢/١٦٦).

ادع الله أن يشفيك فإن الشيطان قد كان يغيظه مكانك من المسجد، قال: بل أخرجني الله تعالى من بينكم سالماً.

تعففه عن العطايا:

لم يكن «سعيد» يتطلع للعطايا والهبات، ولا يستشرف لها، فإذا أتت إليه من غير تطلع ولا استشراف، أعرض عنها، وأشاح غير آبهٍ بها، فعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: ثنا شيبان بن فروخ، قال: ثنا سلام بن مسكين، قال: ثنا عمران بن عبد الله بن طلحة، قال: (دعي «سعيد بن المسيَّب» إلى نَيِّفٍ وثلاثين ألفاً ليأخذها، فقال: لا حاجة لي فيها ولا ببني مروان حتى ألقى الله فيحكم بيني وبينهم).

وفي حديث أحمد بن بُنْدار، قال: ثنا أحمد بن محمد الخزاعي، قال: ثنا القعنبي، قال: ثنا مالك بن أنس، قال: (كان «سعيد بن المسيَّب» يماري غلاماً له في ثلثي درهم، وأتاه ابن عمه بأربعة آلاف درهم، فأبى أن يأخذها). وقد بالغ «سعيد» في رفضه للعطايا حتى رد الشربة تعرض عليه، فعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: ثنا شيبان، قال: ثنا سلام بن مسكين، عن عمران بن عبد الله، قال: (كان «سعيد بن المسيَّب» لا يقبل من أحد شيئاً، لا ديناراً ولا درهماً، ولا شيئاً، قال: وربما عرض عليه الأشربة فَيُعْرِض، فليس يشرب من شراب أحد منهم).

حصبه للحجّاج:

أخرج «أبو نعيم» في حليته خبر حَصْب «سعيد بن المسيَّب» للطاغية «الحجاج بن يوسف الثقفي» فقال: حدَّثنا أبو يوسف بن محمد النجيرمي، قال: ثنا الحسن بن المثنى، قال: ثنا عفان، قال: ثنا حماد بن سلمة، أخبرنا علي بن زيد بن جدعان، قال: قيل لسعيد بن المسيَّب: (ما شأن «الحجاج» لا يبعث إليك، ولا يهيجك، ولا يؤذيك؟ قال: والله ما أدري، غير أنه صلى ذات يوم مع أبيه صلاة، فجعل لا يتم ركوعها ولا سجودها، فأخذت كُفًّا من حصباء فحصبته بها، قال «الحجاج»: فما زلت أُحْسِنُ الصلاة).

والذي أراه أن الله تعالى ألقى في قلب «الحجاج» المتحجر المهابة من «ابن المسيب» لأن «سعيداً» لم يكن يخشى غير الله، ولم يعرف الخشية ممن سواه.

وروى ابن إسحاق، قال: ثنا قتيبة بن سعيد، قال: ثنا عطاف بن خالد، عن ابن حرملة، قال: خرج «سعيد بن المسيَّب» في ليلة مطر وطين وظلمة، منصرفاً من العشاء، فأدركه «عبد الرحمٰن بن عمرو بن سهل» ومعه غلام معه سراج، فسلم عليه «عبد الرحمٰن» ومشيا يتحدثان، حتى إذا حاذى «عبد الرحمٰن» بداره انصرف إليها، فقال للغلام: امش مع أبي بالسراج، فقال سعيد: (لا حاجة لي بنوركم، نور الله خير من نوركم). لقد نوَّر الإيمان قلبه بنور الله، فما حاجته إلى أي نور عداه؟ وقد رطَّب لسانه بذكر الله، حتى إنه كان يكثر في مجالسه من قول: اللهم سلِّمْ سَلِّمْ.

ورعه وثقته بالله تعالى:

كان «سعيد» شديد الورع والخشية من الله، معظماً لرسوله ومصطفاه ﷺ، فقد روى طلحة بن محمد بن سعيد بن المسيَّب، قال: دخل المطلب بن حنظب على «سعيد بن المسيَّب» في مرضه وهو مضطجع، فسأله عن حديث، فقال: أقعدوني، فأقعدوه، قال: (إني أكره أن أحدث حديث رسول الله ﷺ وأنا مضطجع).

وذكر «أبو نعيم» في حليته: (حدثنا محمد بن عبد الله الكاتب، قال: ثنا الحسن بن علي الطوسي، قال: ثنا محمد بن عبد الكريم، قال: ثنا الهيثم بن علي، قال: ثنا يحيى بن سعيد بن المسيَّب، قال سعيد: (دخلت المسجد ليلة إِضْحِيَان ـ أي: صحو لا غيم فيها ـ، قال: وأظن أني قد أصبحت، فإذا الليل على حاله، فقمت أصلي، فجلست أدعو، فإذا هاتف يهتف من خلفي: يا عبد الله! قل، قلت: ما أقول؟ قال: قل: (اللهم! إني أسألك بأنك مالك الملك، وأنك على كل شيء قدير، وما تَشَأْ من أمر يكن). قال «سعيد»: (فما دعوتُ بها قط بشيء إلا رأيت نُجْحَه) [1].

رفض مصاهرة عبد الملك بن مروان له:

لما خطب «عبد الملك بن مروان» وهو خليفة، ابنة «سعيد بن المسيَّب» لولده «الوليد بن عبد الملك» أبى أن يزوجها له، ثم زوَّجها من أحد تلاميذه على

(١) الحلية (٢/ ١٦٩).

صَداق درهمين أو ثلاثة، وها هو ذا صاحب الحلية يروي لنا قصة هذا الزواج، قال: [حدثنا أبو بكر بن مالك، قال: ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: ثنا الحسن بن عبد العزيز، قال: كتب إلينا ضمرة بن ربيعة، عن إبراهيم بن عبد الله الكتاني: أن «سعيد بن المسيَّب» زوج ابنته بدرهمين، حدثنا عمر بن أحمد بن عثمان، قال: ثنا عبد الله سليمان بن الأشعب، قال: ثنا أحمد بن حرملة، عن ابن وَهْب، قال ثنا عمي عبد الله بن وَهْب، عن عطاف بن خالد، عن ابن حرملة، عن ابن أبي وَدَاعة، قال: كنت أجالس «سعيد بن المسيَّب» ففقدني أياماً، فلما جئته، قال: أين كنت؟ قال: توفيت أهلي، فاشتغلت بها، فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها؟ قال: ثم أردت أن أقوم، فقال: هل استحدثت امرأة؟ فقلت: يرحمك الله، ومن يزوجني، وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ فقال: أنا، فقلت: أو تفعل؟ قال: نعم! ثم حمد الله تعالى، وصلى على النبي ﷺ، وزوجني على درهمين، أو قال: ثلاثة، قال: فقمت، وما أدري ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلي، وجعلت أتفكر، ممن آخذ وممن أستدين، فصليت المغرب، وانصرفت إلى منزلي واسترحت، وكنت وحدي صائماً، فقدمت عشائي أفطر، كان خبزاً وزيتاً، فإذا بآتٍ يقرع، فقلت: من هذا؟ قال: «سعيد». قال: فأفكرت في كل إنسان اسمه «سعيد» إلا «سعيد بن المسيَّب»، فإنه لم يُرَ أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد، فقمت فخرجت، فإذا «سعيد بن المسيَّب» فظننت أنه قد بدا له، فقلت: يا أبا محمد! ألا أرسلت إليَّ فآتيَكَ؟ قال: لأنت أحق أن تؤتى. قال: قلت: فما تأمر؟ قال: إنك كنتَ رجلاً عَزَباً، فتزوجتَ، فكرهتُ أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك، فإذا هي قائمة من خلفه في طوله، ثم أخذ بيدها، فدفعها بالباب، ورَدَّ الباب، فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقتُ من الباب، ثم تقدمتُ [١] إلى القصعة التي فيها الزيت والخبز، فوضعتها في ظل السراج، لكيلا تراها، ثم صعدت إلى السطح، وناديت الجيران فجاءوني، فقالوا: ما شأنك؟ قلت: ويحكم! زوجني «سعيد بن المسيَّب» ابنته اليوم، وقد جاء بها على غفلة، فقالوا: «سعيد بن المسيَّب» زَوَّجك؟ قلت: نعم! وها هي في الدار. قال: فنزلوا هم إليها، وبلغ أمي، فجاءت، وقالت: وجهي من وجهك حرام، إن مَسِسْتَها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام، قال: فأقمت ثلاثة أيام، ثم دخلت بها، فإذا هي من

(١) في الأصل: قدمتها، وما أثبت الأنسب.

أجمل الناس، وإذا هي أحفظ الناس لكتاب الله، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحق الزوج. قال: فمكثت شهراً لا يأتيني «سعيد» ولا آتيه. فلما كان قرب الشهر أتيت «سعيداً»، وهو في حلقته، فسلمتُ عليه، فردَّ عليَّ السلام، ولم يكلمني، حتى تقوَّض أهل المجلس، فلما لم يبق غيري، قال: ما حال ذلك الإنسان؟ قلت: خيراً، يا أبا محمد! على ما يحب الصديق ويكره العدو، قال: إن رابك شيء فالعصا، فانصرفت إلى منزلي، فوجَّه إليَّ بعشرين ألف درهم. قال «عبد الله بن سليمان»، وكانت بنت «سعيد بن المسيَّب» خطبها «عبد الملك بن مروان» لابنه «الوليد بن عبد الملك» حين ولَّاه العهد، فأبى «سعيد» أن يزوجه، فلم يزل «عبد الملك» يحتال على «سعيد» حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد، وصَبَّ عليه جَرَّة ماء، وألبسه جُبَّة صوف. قال «عبد الله»: ـ وابن أبي وداعة هذا ـ هو كثير بن المطلب بن أبي وداعة] هكذا كانوا يصنعون بعباد الله الصالحين، فويل للظالمين من مشهد يوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين!

سعيد الثابت على المبدأ:

قيل لسعيد: أرددت خطبة ابن أمير المؤمنين لابنتك، وزوجتها رجلاً من العامة؟ فقال: إنها أمانة في عنقي، وآثرتُ الذي فيها صلاحها. فقيل له: وكيف ذلك؟ فقال: ما ظنكم بها إذا دخلت القصور، وتقلبت في نعيمها، ورأت الخدم والحشم محدقين بها، ثم أصبحت زوج الخليفة، فأين يصبح دينها آنئذ؟ ولكن، هَلاَّ سألنا أنفسنا عن المرأة التي اختارها «سعيد» شريكة لحياته حين أراد الزواج؟ هناك الكثيرات من قريش يتمنَّيْن أن يقترنَّ به لفضله وعلمه وحسن سيرته، ولكنه صاحب مبدأ لا يحيد عنه، ألا وهو رفضه للدنيا وزخرفها ومتاعها، ولهذا تزوج ابنة الصحابي الجليل «أبي هريرة»، ﷺ، وزوج ابنته من «ابن أبي وداعة» عملاً بوصاة النبي ﷺ: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه**».

رفضه البيعة لولدي عبد الملك:

أمر «عبد الملك بن مروان» والي المدينة، «هشام بن إسماعيل» بطلب البيعة لولديه «الوليد» و«سليمان» فقبل أهلها غير «سعيد بن المسيَّب»، فكتب الوالي إلى «عبد الملك بن مروان» أن أهل المدينة قد أطبقوا على البيعة للوليد و«سليمان»، إلا «سعيد بن المسيَّب»، فأمر «عبد الملك» بعرضه على السيف، فإن أصر وإلا فاجلده خمسين جلدة وطف به أسواق المدينة، فلما قدم الكتاب على الوالي،

دخل «سليمان بن يسار»، و«عروة بن الزبير» و«سالم بن عبد الله» على «سعيد بن المـيَّب» فقالوا: جاء كتاب من «عبد الملك» يأمر الوالي إن لم تبايع بضرب عنقك، ونحن نعرض عليك خصالاً ثلاثاً فأعطنا إحداها، فإن الوالي قد قبل منك أن يقرأ عليك الكتاب، فلا تقل لا، ولا نعم! قال: فيقول الناس: بايع «سعيد بن المـيَّب»، (ما أنا بفاعل)، وكان إذا قال: لا، لا يتزحزح عنها تحت أي ظرف، قال: مضت واحدة، وبقيت اثنتان، قالوا: تجلس في بيتك، فلا تخرج إلى الصلاة أياماً، فإنه يقبل منك إذا طلبت في مجلـك فلم يجدك، قال: وأنا أسمع المؤذن، يقول حَيَّ على الصلاة، حَيَّ على الفلاح؟ ما أنا بفاعل، فما الثالثة؟ قالوا: غيِّر مجلسك، فإذا أرسل إلى مجلـك ولم يجدك أمسك عنك، قال: فَرَقاً من مخلوق ـ أي: خوفاً ـ ما أنا بمتقدم لذلك شبراً، ولا متأخر شبراً، فخرجوا إلى صلاة الظهر، فجلس في مجلسه، فبعث الوالي إليه، وكان لا يقوم لذوي السلطان وأتباعهم، فأُتي به، فقال الوالي: إن أمير المؤمنين كتب يأمرنا بضرب عنقك إن لم تبايع، فقال: نهى رسول الله ﷺ عن بيعتين، فلما رآه لا يجيب عرضه على السيف، فأصر، فجرده، فإذا عليه تُبّان شعر ـ كساء ـ فضربه خمسين سوطاً، فقالت له امرأة لما جرد ليضرب: إن هذا لمقام خزي، فقال لها «سعيد»: (من مقام الخزي فَرَرْنا). وكان يقول: (من استغنى بالله انتصر الناس إليه).

وسمع الحديث عن: ابن عباس وابن عمر، وزيد بن ثابت، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم، وكان أحفظ الناس لأحكام «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه وأقضيته، وكان إذا أعضل على الحسن البصري أمر كتب إليه يسأله. ورأى «عليَّ بن زيد» وعليه جبة خز، فقال له: (إنك لجيد الجبة)، فقال: وما تغني عني وقد أفسدها عليَّ «سالم»، فقال «سعيد»: (أصلح قلبك والبس ما شئت).

ومات «سعيد بن المـيَّب» سيد التابعين، عن عمر قد ناهز الثمانين، ودفن في المدينة، رحمه الله تعالى.

٢ ـ سالم بن عبد الله بن عمر

محدث ورع، وفقيه فريد، رأى العلم يرفع الناس فسلك سبيله، وهو قرشي عدوي، أبوه «عبد الله بن عمر» الصحابي الجليل، وجَدُّه الخليفة الراشد الثاني «عمر بن الخطاب» ﷺ. أمه من سبي فارس، وهي إحدى ثلاث بنات ليزدجرد، وقعت في الأسر، ولما قُوِّمْن أخذهن «علي بن أبي طالب» ثم أعطى واحدة لابنه «الحسين» فأولدها «علي بن الحسين، زين العابدين»، والثانية لعبد الله بن عمر، فأولدها «سالماً»، والثالثة لمحمد بن أبي بكر، فأولدها «القاسم بن محمد» فأصبح الثلاثة من كبار القراء ﷺ وكان «سالم» محبوباً من الناس كأبيه «عبد الله» ورعاً، تقياً، مُحِبًّا للخير، كارهاً للبغي والشر، أكبَّ على كتاب الله حتى وعاه في صدره، وتلقى عن أبيه حديث رسول الله ﷺ فرفعا من شأنه، ومنحاه بين الناس المهابة والتوقير، وأكسباه كل المحبة والتقدير.

تواضعه وزهده:

كان «سالم» ﷺ جَمَّ التواضع، لَيِّن الجانب، يكفيه من الطعام ما يقوت، ومن اللباس ما يواري السوأة، وقد نقل عن «سعيد بن المسيَّب» أنه قال: (كان «عبد الله» أشبه ولد «عمر» به، وكان «سالم» أشبه ولد «عبد الله» به)، ولم يكن تواضع «عمر» وولده «عبد الله» وزهدهما بخافيين على أحد، وراق لسالم منهجهما وسيرتهما فأزمع سلوك نفس السبيل، ومن شدة إعجاب «عبد الله بن عمر» بولده «سالم» قال:

يلومونني في سالم وألومهم ... وجلدة بين العين والأنف سالم

وقد أخرج «أبو نعيم» في حليته: [حدثنا محمد بن عبد الله، قال ثنا الحسن بن علي بن نصر، قال: ثنا محمد بن عبد الكريم، قال: ثنا الهيثم بن عدي، قال: ثنا يونس بن يزيد، قال: ثنا الحكم بن عبد الله الأيلي، قال: قدم «سليمان بن عبد الملك» المدينة، فدخل عليه «القاسم» و«سالم بن عبد الله»،

قال: وإذا «سالم» أحسنهما كُدْنَة ـ أي: سِمَناً ـ، قال: يابن عمر! ما طعامك؟ قال: الخبز والزيت. قال: وتشتهيه؟ قال: أدعه حتى أشتهيه. قال: ثم دعا لهما بغالية ـ أخلاط من الطيب ـ، وجاءت جارية وضيئة الوجه، مديدة القامة، فذهبت تُغَلِّيهما ـ تُطَيِّبُهما ـ، فقال: تنحيْ عنا، ثم تناولا المُدْهُنَ [1] فلعقا منه، ثم ادَّهَنا، ثم قالا: إن رسول الله ﷺ، كان إذا أُتِيَ بالدهن الطيب، لعق منه، ثم ادَّهَنَ. كما روى الزهري، قال: سمعت «سالم بن عبد الله» يقول: دخلت على «الوليد بن عبد الملك» فقال: ما أحسن جسمك! فما طعامك؟ قلت: الكعك والزيت. قال: وتشتهيه؟ قلت: أدعه حتى أشتهيه، فإذا اشتهيته أكلته. وقد حذَّر «سالم بن عبد الله» رضي الله عنه من المداومة على تناول اللحم، فقد ذكر أبو محمد بن حيان، قال: ثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، قال: ثنا محمد بن أبي صفوان، قال: ثنا يحيى بن كثير، قال: ثنا عبد الله بن إسحاق، قال: سمعت «سالم بن عبد الله» يقول: إياكم وإدامة اللحم، فإن له ضراوة كضراوة الشراب. وبلغ من تواضع «سالم» رضي الله عنه، ما ذكره إبراهيم بن محمد بن الحسن، قال: ثنا أحمد بن سعيد، ثنا ابن وهب، حدثني حنظلة، قال: رأيت «سالم بن عبد الله» يخرج إلى السوق، فيشتري حوائجه بنفسه.

تحذيره لأشعب من السؤال:

نهى «سالم» رضي الله عنه «أشعب» الطفيلي عن المسألة، فقد رد في حديث سليمان بن أحمد، قال: ثنا ابن ناجية، قال: ثنا محمد بن عباد بن موسى، قال: ثنا أبي، عن غياث بن إبراهيم، قال: ثنا أشعب بن أم حميد، قال: أتيت «سالم بن عبد الله» وهو يقسم صدقة «عمر»، فسألته، فأشرف عليَّ من خوخة، فقال: ويحك يا أشعب! لا تسأل. وفي رواية أخرى، عن محمد بن عبد العزيز، ثنا محمد بن عبد الله بن مكحول، قال: ثنا عثمان بن خرزاذ، قال: ثنا إبراهيم بن عرعرة، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا جويرية بن أسماء، قال: حدثني أشعب، قال: قال لي «سالم بن عبد الله»: لا تسأل أحداً غير الله. وجاء نهي «سالم بن عبد الله» رضي الله عنه لأشعب عن المسألة، لقول رسول الله ﷺ: «**إن المسألة لا تحل لغنيٍّ، ولا لذي مِرَّةٍ سَوِيٍّ**»، وهي مهانة للسائل وإذلال لنفسه، وإراقة لماء وجهه،

(١) المُدْهُن: آلة الدهن، قارورة الدهن.

والمسألة أبعد ما تكون من المروءة والشهامة، فلا يقدم عليها إلا من فقدهما. وربما عادت المسألة على صاحبها بالانتهاء والتوبيخ والتحقير، مما يهوي بكرامته إلى غور سحيق.

مكانة سالم في المدينة:

كان فقهاء المدينة السبعة قد تبوأوا منزلةً رفيعةً لهم في ميدان القضاء، بما أوتوا من حسن الفهم، وتحصيل العلم، والقدرة على إيجاد الحلول في المعضلات التي تعرض عليهم سواء أكانت ذات صلة بأمور الدنيا أم بأمور الدين، وكان هؤلاء الفقهاء، ومن بينهم «سالم بن عبد الله» لا يضنون على قضاة المدينة بمدهم بالرأي الرشيد، والفكر السديد. فإذا انتهى الفقهاء إلى رأي معين في معضلة ما، كان على القضاة في المدينة الحكم في القضية المعروضة أمامهم وفاقاً للرأي الذي توصل إليه الفقهاء، وكان ولاة المدينة يلزمون قضاتها بذلك، فلا يصدر عنهم أي حكم خلافاً لما رآه الفقهاء، ومن أجل هذا حظي فقهاء المدينة السبعة، و«سالم» بينهم، بمحبة أهلها وإجلالهم لهم، وقد تعدت مكانتهم الرفيعة تلك نطاق أهل المدينة وولاتها حتى وصلت إلى دار الخلافة. وكان الوالي ذو الحظ السعيد الذي يعمل بنصيحة «سالم بن عبد الله» ويأخذ بمشورته، أما من بدا له أن يخرج عنها ويعمل بخلافها فلا مجال أمامه للبقاء في الموقع الذي هو فيه، ولا بد من أن يستبدل به سواه. وفي خلافة «يزيد بن عبد الملك» كان «عبد الرحمٰن بن الضحاك» واليه على المدينة، وقد علم «عبد الرحمٰن» أن «فاطمة بنت الحسين بن علي» ﷺ، قد آمت من زوجها، وقعدت على أطفالها، فأرسل إليها من يذكرها عليه، فأبلغت رسوله أنها لا ترغب في الزواج من أجل تربية بنيها، ولم يرق ردها لابن الضحاك، فأخذ يضايقها ويلح عليها لتقبل به، وهي في كل ذلك تحسن الاعتذار وتتلطف فيه، ولكن هذا الوالي الأرعن تعدى الإلحاح والمضايقة إلى تهديدها بتلفيق تهمة تمكنه من جلد أكبر بنيها لشربه الخمر. وأسقط في يد «فاطمة»، ولكنها سرعان ما ذكرت «سالم بن عبد الله» فأرسلت إليه ليشير عليها بما تصنع. وكان من رأي «سالم» أن تكتب شكوى إلى الخليفة «يزيد» تحيطه علماً بسلوك واليه، وتنوه بقرابتها من رسول الله ﷺ، ولم يبخل بالنصح لابن الضحاك بشأنها، إلا أنه أبى أن يستجيب لنصحه. ونفذت «فاطمة» شورة «سالم» وبعثت بكتابٍ إلى الخليفة مع رسول لها. واستأذن رسول

«فاطمة» على الخليفة «يزيد» فأذن له، ولما قرأ كتابها كاد يتميز من الغيظ، وصاح: أبلغ بك الأمر يابن الضحاك أن تجترىء على آل رسول الله ﷺ؟ ثم قال: من رجل يسمعني أنين «ابن الضحاك» في المدينة وهو يعذب، وأنا في مقامي ههنا في دمشق؟ فأشير على «يزيد» بعبد الواحد بن بشر النَّضْرِي، فقال: هو ذاك، إنه لها، ثم تناول كاغداً ـ قرطاساً ـ وكتب بخطه: من أمير المؤمنين «يزيد بن عبد الملك» إلى «عبد الواحد بن بشر النَّضْري» السلام عليك. أما بعد، فإني قد وليتك المدينة، فإذا جاءك كتابي هذا، فتوجَّه إليها، واعزل عنها «ابن الضحاك» وافرض عليه غرامة مقدارها أربعون ألف دينار، وعذِّبه حتى أسمع صوته من المدينة. وحمل رسول الخليفة الرسالة، وانطلق يريد الطائف حيث يقيم الوالي الجديد، ولما وصل المدينة لم يمر بابن الضحاك، ولم يسلم عليه، حتى إذا علم «ابن الضحاك» بوصوله، استدعاه إلى منزله، وسأله عما أقدمه والشيء الذي يحمله؟ ثم بعد إلحاح شديد، وإغراء بكيس من الدنانير، أفضى إليه بالأمر، ثم تركه الرسول ومضى إلى وجهته. وانطلق (ابن الضحاك) إلى دمشق وقد أجهد مطيته، حتى وصلها، ويمَّمَ دار «مسلمة بن عبد الملك» أخي الخليفة، واستأذن عليه، ولما مثل بين يديه، قال: أخبرني أيها الأمير! قال: ما خطبك؟ قال: هفوة ارتكبتها وأنت تعرف أمير المؤمنين، وتركه «مسلمة» ثم دخل على أخيه «يزيد» وقال: لي حاجة لديك يا أمير المؤمنين! فقال يزيد: سل ما شئت تُجَبْ إلا في ابن الضحاك. فقال مسلمة: ما جئت إلا من أجله. فأقسم «يزيد» ألا يعفيه، فقال: وماذا فعل؟ فقال يزيد: أيتجرأ على آل بيت رسول الله ﷺ، ولا يكترث لنصح «سالم بن عبد الله» في شأنها؟ فانسحب «مسلمة» تاركاً ليزيد أن يفعل ما يشاء. وهكذا جنى «ابن الضحاك» على نفسه حين خرج على سنة الولاة في قبول نصح الفقهاء، وبخاصة «سالم بن عبد الله» رضي الله عنه.

ردُّه على طلب عمر بن عبد العزيز:

لما ولي «عمر بن عبد العزيز» أمور المسلمين، كتب إلى «سالم بن عبد الله» يسأله عن سيرة جده «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه وأن يبعث إليه بأقضيته ليسير وَفْقَها، ويعمل بموجبها. فكتب «سالم» إليه: أن زمانه غير زمان «عمر» ورجاله ليسوا كرجال «عمر»، انطلاقاً من القاعدة الفقهية: «تتبدل الأحكام بتبدل الأزمان»، وذكر له أن من ينوي الحق والخير ويريده، فالله يعينه عليه، ويقيض له من يقوم له به من

حيث لا يحتسب، ومن تمت نيته في الخير تَمَّ عون الله له، ومن قصَّرت به نيته، نقص من عون الله له بقدر ما نقص من نيته. وإذا بدا له شيء لا يرضي الله تعالى فليذكر أصحاب السلطان الذي تقدموه في الرحيل عن هذه الدنيا الفانية.

وجاء في الرسالة: يا عمر! اذكر الملوك الذين تفقأت عيونهم بعد أن شهدوا بها اللذات، واذكر كيف تمزقت بطونهم التي كانوا لا يشبعون بها من الشهوات، ثم إنهم آلوا إلى جيف لو لم توارها الأرض لتأذينا بريحها، ولنالنا الضر من نتنها، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

رفضه أمر الحجاج:

دخل «سالم» مرة على الطاغية «الحجاج» في أمر من أمور المسلمين، فبالغ «الحجاج» في الترحيب به وفي إكرامه، وبينا هو ـ ما يزال ـ عنده، أدخل عليه بعض الرجال والقيود في أيديهم، وقد شحبت وجوههم، واصفرت ألوانهم، وتشعَّثت شعورهم. وتناول «الحجاج» سيفاً، ثم سلمه إلى «سالم» وقال له: هؤلاء بغاة استحلوا ما حرم الله، فقم إلى أولهم واضرب عنقه، فقام «سالم» إلى الرجل والسيف في يده، ثم دنا منه وسأله: هل أنت مسلم؟ قال: نعم، فقال له: وهل صليت الغداة هذا اليوم؟ قال: وهل يدعها من كان مسلماً حقاً؟ وكان الحاضرون ينتظرون بلهفة، ما الذي سيصنعه «سالم» بأمر «الحجاج» الغاشم، فرجع «سالم» إليه، ورمى السيف بين يديه، وقال: هذا الرجل مسلم، وقد شهد الفجر هذا اليوم، وقد علمت أن رسول الله ﷺ قال: «**من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله**» أي في حفظه وكنفه. فكيف أقتل من دخل في ذمة الله؟ فقال الباغي وقد أهاجه قول «سالم»: إنا لا نقتله لتركه صلاة الصبح، بل لأنه ممن تمالؤوا على قتل «عثمان بن عفان». فقال «سالم»: هناك من هو أولى مني ومنك بدم «عثمان». فأسكت الظالمِ، ولم يُحِرِ جواباً.

ولما أُخْبِرَ «عبد الله بن عمر» بما صنعه ابنه «سالم» أثنى عليه، وقال: حسن حسنْ، هذا عهدي به، ما علمته إلا عاقلاً. ذرية طيبة صالحة، بعضها من بعض، وما «سالم» إلا واحد من أشبال «عمر». ومن ينسى أباه «عبد الله» الذي رأى أسداً قطع الطريق على الناس، ومنعهم المرور؟ فجاءه «عبد الله» وأخذ بأذنه وعركها، فمضى الأسد لوجهته، ومرَّ الناس، وهم في دهشة وذهول مما يرون. أولئك قوم هابوا الله وخافوه، فجعل كل شيء يهابهم ويخافهم والناس يشهدون.

تسليمه على الموتى:

كان «سالم بن عبد الله» إذا مر بالمقابر يسلم على أهلها، وقد ذكر محمد بن علي بن حبيش، قال: ثنا أحمد بن يحيى الحلواني، قال: ثنا أحمد بن يونس، قال: ثنا زهير بن معاوية، قال: ثنا موسى بن عقبة، أنه رأى «سالم بن عبد الله بن عمر» لا يمر بقبر بليل ولا نهار إلا سلم عليه، يقول: السلام عليكم، فقلت له في ذلك، فأخبرني عن أبيه أنه يقول ذلك.

تعففه عن العطاء:

فقد رضي «سالم» بما أعطاه الله، فاستغنى به عن عطاء سواه، ولم يجعل همه إلا فيما يرضاه. ولما قدم «سليمان بن عبد الملك» إلى مكة حاجًّا، بصُر بسالم بن عبد الله جالساً تجاه الكعبة المشرفة، وهو يتلو كتاب الله ويدعو ويتضرع، حتى إذا فرغ «سليمان» من طوافه حول البيت، أتاه ليسلم عليه، فأفسح الناس له حتى أخذ مقعده إلى جواره، وكان «سالم» غارقاً في تضرعه ودعائه، مشغولاً عنه بذكر الله مولاه. ولما واتت «سليمان» فرصة كف فيها عن التلاوة، قال له: السلام عليك يا أبا عمر ورحمة الله، فرد عليه «سالم» التحية بأحسن منها، وقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، فقال «سليمان» مُخْفِتاً صوته: أمالك من حاجته فأقضِيَها لك؟ فلم يجبه «سالم» وظن «سليمان» أنه لم يسمعه، فأعاد الكرَّة عليه، فقال «سالم»: أما والله، إني لأستحي أن أسأل وأنا في بيت الله، أحداً سواه. فخجل «سليمان» من قوله، ولاذ بالصمت، وبقي جالساً في مكانه. حتى إذا أراد «سالم» الخروج من المسجد، نهض ونهض الناس، وراحوا يتبعونه ويسألونه عن بعض شؤونهم، و«سليمان» بينهم يريد أن ينفرد به، فلما فرغ «سالم» من إجابة كل منهم إلى مطلبه، وبقي «سليمان» وحده، قال له «سليمان»: هنا نحن أولاء أصبحنا خارج المسجد، فهل لك من حاجة فأقضيَها لك؟ فقال «سالم»: أمن حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ فقال: بل من حوائج الدنيا. فقال «سالم»: إذا كنتُ لم أسأل حوائج الدنيا ممن يملكها، فكيف أسألها ممَّن لا يملكها؟. وأسقط في يد «سليمان»، فحياه ثم انصرف عنه وهو يقول متمتماً: بوركتم يا آل الخطاب من آل بيت! فقد استغنيتم بالله، فأغناكم عمن سواه.

رواية سالم للحديث:

روى «سالم» حديث رسول الله ﷺ، وقد قال «أحمد بن حنبل» و«إسحاق بن

راهويه»: أصح الأسانيد: الزهري، عن سالم، عن أبيه، ومن الصحابة الذين روى الحديث عنهم: أبوه «عبد الله بن عمر» وأم المؤمنين السيدة «عائشة» و«أبو هريرة»، ومن التابعين: «سعيد بن المسيَّب»، وروى عنه: «الزهري» و«عمرو بن دينار» و«صالح بن كيسان» وسواهم. ومن مرويات «سالم» ﷺ التي أخرجها «أبو نعيم» في الحلية:

ـ حدثنا أبو بكر بن خلاد، قال: ثنا الحارث بن أبي أسامة، قال: ثنا عثمان بن عمر بن خارس، قال: ثنا يونس بن يزيد الزهري، عن سالم، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله الكتاب فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو يتصدق آناء الليل وآناء النهار**» كذا قال عثمان: يتصدق به، هذا حديث صحيح رواه عن عثمان بن عمر الإمام أحمد بن حنبل، وحدث به عن الزهري «شعيب» والناس.

ـ حدثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا جعفر الفرغاني، وحدثنا أبو عمرو بن حمدان، قال: ثنا الحسين بن سفيان، وحدثنا إبراهيم بن محمد بن يحيى في جماعة، قالوا: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثنا قتيبة بن سعيد، قال: ثنا الليث بن عقيل، عن الزهري، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة**». هذا حديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

ـ حدثنا سهيل بن إسماعيل الفقيه الواسطي، قال: ثنا عبد الله بن سعد الرقي، حدثتني والدتي «مروة بنت مروان»، قالت: حدثتني والدتي «عاتكة بنت بكار» عن أبيها، قال: سمعت الزهري يحدث عن سالم بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله ﷺ، قال: «**ما ترك عبد شيئاً لله لا يتركه إلا له إلا عوَّضه الله منه ما هو خير له في دينه ودنياه**»، هذا حديث غريب من حديث الزهري لم يكتبه إلا من هذا الوجه.

ـ حدثنا أبو عمرو بن حمدان، قال: ثنا الحسن بن سفيان، قال: ثنا أبو خالد يزيد بن صالح اليشكري، قال: ثنا خارجة بن مصعب، عن عمرو بن دينار أبي يحيى، عن سالم، عن أبيه، قال: كنت عند رسول الله ﷺ إذ مر عليه رجل،

فقال رجل: يا رسول الله! إني لأحب هذا في الله ﷻ، فقال له النبي ﷺ: «**فاسأله عن اسمه**» فسأله وأعلمه ذلك، فقال له الرجل: أحبك الله كما أحببتني فيه، فرجع إلى رسول الله ﷺ، فأخبره بالذي قال له، والذي رد عليه، فقال له رسول الله ﷺ: «**وجبت**» أي: الجنة.

ـ حدثنا سليمان بن أحمد، قال: ثنا علي بن عبد العزيز، قال: ثنا عبيد بن يعيش، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، عن مبشر، عن الزهري، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من شرار الناس المجاهرين**»، قالوا: يا رسول الله! وما المجاهرون؟ قال: «**الذي يذنب الذنب بالليل فيستره الله عليه، فيصبح، فيحدث به الناس، فيقول: فعلت البارحة كذا وكذا فيهتك ستر الله عنه**».

ـ حدثنا أبو بكر بن خلاد، قال: ثنا الحارث بن أبي أسامة، قال: ثنا أبو عبد الرحمن المصري، قال: ثنا حيوة عن أبي صخر، عن عبد الله بن عبد الرحمٰن، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبي أيوب الأنصاري: أن رسول الله ﷺ قال ليلة أسري به: «**مر بي جبريل على إبراهيم الخليل** عليه السلام **فقال إبراهيم: يا جبريل! من معك؟ قال جبريل: هذا «محمد»، قال إبراهيم: يا محمد! مر أمتك فليكثروا من غراس الجنة، فإن أرضها واسعة، وترابها طيب، قال «محمد» لإبراهيم** عليه السلام: **(وما غراس الجنة؟) قال إبراهيم: لا حول ولا قوة إلا بالله)**] [(١)]. وفي سنة (١٠٦هـ) وافت المنية «سالماً» رحمه الله تعالى.

(١) حلية الأولياء (٢/ ١٩٥ ـ ١٩٨).

٣ ـ الحسن البصري

بعد التحاق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى بعشر سنوات، وفي السنة الحادية والعشرين للهجرة المباركة، وضعت «خَيْرَةُ» مولاة أم المؤمنين «أم سلمة» رضي الله عنها، مولودها، ثم أتت به «أم سلمة» لتسميه لها، فأطلقت عليه اسم «الحسن» وكان أبوه «يسار البصري» مولى لزيد بن ثابت الأنصاري، واشتهر بالحسن البصري.

اجتماعه بالصحابة:

لقي «الحسن» رضي الله عنه عدداً كبيراً من صحابة رسول الله ﷺ وكان يقول: (أدركت ثلاثمائة من أصحاب النبي ﷺ فيهم سبعون بدرياً). واشتهر بفصاحته، وقوة حجته، وبالغ موعظته، ويعد من أكابر التابعين، رضي الله عنهم أجمعين. قال عنه الإمام أبو حامد الغزالي: (هذا الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء)، أما أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها فقد سمعته مرة فقالت: (من هذا الذي يتكلم بكلام الصديقين؟).

كتابه إلى عمر بن عبد العزيز:

كتب «الحسن» إلى «عمر بن عبد العزيز» كتاباً أورد أبو نعيم نصه في الحلية، قال: (أعلم أن التفكر يدعو إلى الخير والعمل به، والندم على الشر يدعو إلى تركه. وليس ما يفنى وإن كان كثيراً يعدل ما يبقى، وإن كان طلبه عزيزاً، واحتمال المؤونة المنقطعة التي تعقب الراحة الطويلة خير من تعجيل راحة منقطعة تعقب مؤونة باقية. فاحذر هذه الدار الصارعة الخادعة الخاتلة التي قد تزينت بخدعها، وغرت بغرورها، وقتلت أهلها بأملها، وتشوفت لخطابها، فأصبحت كالعروس المجلوة، العيون إليها ناظرة، والنفوس لها عاشقة، والقلوب إليها والهة، ولألبابها دافِعَة، وهي لأزواجها كلهم قاتلة، فلا الباقي بالماضي مقيد، ولا الآخر بما رأى من الأول مزدجر، ولا اللبيب بكثرة التجارب منتفع، ولا العارف بالله والمصدق له حين أخبر عنها مدكر، فأبت القلوب لها إلا حبًّا،

وأبت الناس بها إلَّا ضنًّا، وما هذا مِنَّا لها إلا عشقاً، ومن عشق شيئاً لم يعقل غيره، ومات في طلبه أو يظفر به، فهما عاشقان طالبان لها؛ فعاشق قد ظفر بها واغترَّ وطغى ونسي بها المبدأ والمعاد، فشغل بها لبه، وذهل فيها عقله، حتى زلت عنها قدمه، وجاءته أَسَرَّ ما كانت له منيته فعظمت ندامته، وكسرت حيرته، واشتدت كربته مع ما عالج من سكرته، واجتمعت عليه سكرات الموت بألمه، وحسرة الموت بغصته، غير موصوف ما نزل به. وآخر مات قبل أن يظفر منها بحاجته، فذهب بكربه وغمه لم يدرك منها ما طلب، ولم يُرِحْ نفسه من التعب والنصب، خرجا جميعاً بغير زاد، وقدما على غير مهاد.

فاحذرها الحذر كله، فإنها مثل الحية، لينٌ مسُّها وسمها قاتل، فأعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها، وضع عنك همومها لما عاينت من فجائعها، وأيقنت به من فراقها، وسُدَّ ما اشتد منها لرضاء ما يصيبك، وكن أَسَرَّ ما تكون فيها أَحْذَر ما تكون لها، فإن صاحبها كلّما اطمأن فيها إلى سرور له أشخصته عنها بمكروه، وكلّما ظفر بشيءٍ منها وثنى رجلاً عليه انقلبت به، فالسارُّ فيها فارٌّ، والنافع فيها غداً ضار، وصل الرخاء فيها بالبلاء، وجعل البقاء فيها إلى فناء، سرورها مشوب بالحزن، وآخر الحياة فيها الضعف والوهَن، فانظر إليها نظر الزاهد المفارق، ولا تنظر نظر العاشق الوامق. واعلم أنها تزيل الثاوي الساكن، وتفجع المغرور الآمن، لا يرجع ما تولى منها فأدبر، ولا يدري ما هو آت فيها فينتظر، فاحذرها فإن أمانيَّها كاذبة، وإن آمالها باطلة، عيشها نكد، وصفوها كدر، وأنت منها على خطر، إما نعمة زائلة، وإما بلية نازلة، وإما مصيبة موجعة، وإما منية قاضية، فلقد كدَّت عليه المعيشة إن عقل، وهو من النعماء على خطر، ومن البلوى على حذر، ومن المنايا على يقين، فلو كان الخالق تعالى لم يخبر عنها بخبر، ولم يضرب لها مثلاً، ولم يأمر فيها بزهد، لكانت الدار قد أيقظت النائم، ونبَّهت الغافل، فكيف وقد جاء من الله تعالى عنها زاجر، وفيها واعظ، فما لها عند الله ﷻ قدر ولا لها عند الله تعالى وزن من الصغر، ولا تزيد عند الله تعالى مقدار حصاة من الحصى، ولا مقدار ثراة في جميع الثرى، ولا خلق خلقاً ـ فيما بُلِّغْتُ ـ أبغض إليه من الدنيا، ولا نظر إليها منذ خلقها مقتاً لها. ولقد عرضت على نبينا ﷺ بمفاتيحها وخزائنها، ولم ينقصه ذلك عنده جناح بعوضة فأبى أن يقبلها، وما منعه من القبول لها، ولا ينقصه عند الله تعالى شيء إلا أنه

علم أن الله تعالى أبغض شيئاً فأبغضه، وصغَّر شيئاً فصغَّره، ووضع شيئاً فوضعه، ولو قبلها كان الدليل على حبه إياها قبولها، ولكنه كره أن يحب ما أبغض خالقه، وأن يرفع ما وضع مليكه. ولو لم يدله على صغر هذه الدار إلا أن الله تعالى حقرها أن يجعل خيرها ثواباً للمطيعين، وأن يجعل عقوبتها جزاءً للعاصين، فأخرج ثواب الطاعة منها، وأخرج عقوبة المعصية عنها، وقد يدلك على شر هذه الدار أن الله تعالى زواها عن أنبيائه وأحبائه اختباراً، وبسطها لغيرهم اعتباراً واغتراراً، ويظن المغرور بها والمفتون عليها أنه إنما أكرمه بها، ونسي ما صنع بمحمد المصطفى ﷺ و«موسى» المختار عليه السلام بالكلام له وبمناجاته.

فأما «محمد» ﷺ فشد الحجر على بطنه من الجوع.

وأما «موسى» عليه السلام فرئي خضرة البقل من صفاق بطنه من هزاله، ما سأل الله تعالى يوم أوى إلى الظل إلا طعاماً يأكله من جوعه، ولقد جاءت الروايات عنه: أن الله تعالى أوحى إليه: أن يا «موسى»! إذا رأيت الفقر مقبلاً، فقل: مرحباً بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغني قد أقبل، فقل: ذنب عجلت عقوبته.

وإن شئت ثلثته بصاحب الروح والكلمة، ففي أمره عجيبة، كان يقول: أُدْمي الجوع، وشعاري الخوف، ولباسي الصوف، ودابتي رجلي، وسراجي بالليل القمر، وصَلاَيتي في الشتاء الشمس ـ أي ناري ووقودي ـ، وفاكهتي وريحاني ما أنبتت الأرض للسباع والأنعام، أَبِيتُ وليس لي شيء، وليس أحد أغنى مني.

ولو شئت ربعت بسليمان بن داود عليه السلام فليس دونهم في العجب، يأكل خبز الشعير في خاصته، ويطعم أهله «الخُشْكارَ» ـ الخبز الأسمر غير النقي ـ والناسُ الدَّرْمَكَ ـ الدقيق الحُوَّارَى ـ، فإذا حبَّة الليل لبس المُسُوح ـ جمع المِسْح: كساء من شعر ـ وَ لَّ اليد إلى العنق، وبات باكياً حتى يصبح، يأكل الخشن من الطعام، ويلبس الشعر من الثياب، كل هذا يبغضون ما أبغض الله ﷻ، ويصغرون ما صغَّر الله تعالى، ويزهِّدون فيما فيه زهَّد، ثم اقتصَّ الصالحون بَعْدُ منهاجَهُم، وأخذوا بآثارهم، وألزموا الكدَّ والعير ـ هكذا في الأصل، ولعلها العبر ـ ، وألطفوا التفكر، وصبروا في مدة الأجل القصير، عن متاع الغرور، الذي إلى الفناء يصير، ونظروا إلى آخر الدنيا، ولم ينظروا إلى أولها، ونظروا إلى عاقبة مرارتها، ولم ينظروا إلى عاجلة حلاوتها، ثم ألزموا أنفسهم الصبر، أنزلوها من أنفسهم بمنزلة الميتة التي لا يحل الشبع منها إلا في حال الضرورة إليها، فأطلوا

منها بقدر ما يرد النفْسَ ويرد الروح، ومكن اليوم ـ كذا في الأصل، ولعلها: ويسكن القَرَم، أي: يخفف الشهوة إلى اللحم ـ وجعلوها بمنزلة الجيفة التي قد اشتد نتن ريحها، فكل من مرَّ بها أمسك على أنفه منها، فهم يصيبون منها لحال الضر ولا ينتهون منها، إلى الشبع من النتن، فقرنت ـ لعلها: فغربت ـ عنهم، وكانت هذه منزلتها من أنفسهم، فهم يعجبون من الآكل منها شبعاً، والمتلذذ بها أشراً، ويقولون في أنفسهم: أما ترى هؤلاء لا يخافون من الأكل، أما يجدون ريح النتن؟ وهي والله، يا أخي! في العاقبة والآجلة أنتن من الجيفة المرصوفة، غير أن أقواماً استعجلوا الصبر فلا يجدون ريح النتن، والذي نشأ في ريح الإرهاب النتن لا يجد نتنه، ولا يجد من ريحه ما يؤذي المارة والجالس عنده، وقد يكفي العاقل منها أنه من مات عنها، وترك مالاً كثيراً سرَّه أنه كان فيها فقيراً، أو شريفاً أنه كان فيها وضيعاً، أو كان فيها معافى سرّه أنه كان فيها مبتلى، أو كان مسلطناً سرَّه أنه كان فيها سوقة، وإن فارقتها سرَّك أنك كنت أوضع أهلها ضعة، وأشدهم فيها فاقة، أليس ذلك الدليل على خزيها لمن يعقل أمرها؟.

والله لو كانت الدنيا، من أراد منها شيئاً وجده إلى جنبه من غير طلب ولا نَصَب، غير أنه إذا أخذ منها شيئاً لزمته حقوق الله فيه، وسأل عنه، ووقفه على حسابه لكان ينبغي للعاقل ألَّا يأخذ منها إلا قدر قوته، وما يكفي، حَذَرَ السؤال، وكراهيته لشدة الحساب. وإنما الدنيا، إذا فكرت فيها ثلاثة أيام: يوم مضى لا ترجوه، ويوم أنت فيه ينبغي لك أن تغتنمه، ويوم يأتي لا تدري أنت من أهله أم لا؟ ولا تدري لعلك تموت قبله. فأما أمْس فحكيم مؤدِّب، وأما اليوم فصديق مودِّع، غير أن أمْسِ وإن كان قد فجعك بنفسه، فقد أبقى في يديك حكمته، وإن كنت قد أضعته، فقد جاءك خلف منه، وقد كان عنك طويل الغيبة، وهو الآن عنك سريع الرحلة، وغداً أيضاً في يديك منه أمله، فخذ الثقة بالعمل، واترك الغرور بالأمل، قبل حلول الأجل، وإياك أن تدخل على اليوم هَمَّ غدٍ أو هَمَّ ما بعده ـ زدت في حزنك وتعبك وأردت أن تجمع في يومك ما يكفيك أيامك، هيهات كثر الشغل، وزاد الحزن، وعظم التعب، وأضاع العبد العمل بالأمل.

ولو أن الأمل في غدك خرج من قلبك أحسنت اليوم في عملك، واقتصرت لهَمِّ يومك، غير أن الأمل منك في الغد دعاك إلى التفريط، ودعاك إلى المزيد

في الطلب، ولئن شئت واقتصرت لأصفَنَّ لك الدنيا ساعة بين ساعتين، ساعة ماضية، وساعة آتية، وساعة أنت فيها، فأما الماضية والباقية فليس تجد لراحتها لذة، ولا لبلائهما ألماً، وإنما الدنيا ساعة أنت فيها، فخدعتك تلك الساعة عن الجنة، وصيَّرتك إلى النار، وإنما اليوم إن عقلت ضيفاً نزل بك، وهو مرتحل عنك، فإن أحسنت نُزُلَه وقِراه شهد لك، وأثنى عليك بذلك، وصدق فيك، وإن أسأت ضيافته، ولم تحسِنْ قِراه جال في عينيك، وهما يومان بمنزلة الأخوين، نزل بك أحدهما فأسأت إليه ولم تحسن قِراه فيما بينك وبينه، فجاءك الآخر بعده، فقال: إني قد جئتك بعد أخي، فإن إحسانك إليَّ يمحو إساءتك إليه، ويغفر لك ما صنعت، فدونك إذ نزلتُ بك وجئتك بعد أخي المرتحل عنك، فلقد ظفرت بخلف منه إن عقلت فدارِكْ ما قد أضعت، وإن ألحقت الآخر بالأول، فما أخلقَك أن تهلك بشهادتهما عليك! إن الذي بقي من العمر لا ثَمَنَ له ولا عِدْل، فلو جمعت الدنيا كلها ما عدلت يوماً بقي من عمر صاحبه، فلا تبع اليوم، ولا تعدِلْه من الدنيا بغير ثمنه، ولا يكونَنَّ المقبور أعظم تعظيماً لما في يديك منك وهو لك. فلعمري لو أن مدفوناً في قبره قيل له: هذه الدنيا أولها إلى آخرها تجعلها لولدك من بعدك يتنعمون فيها من ورائك، فقد كنت وليس لك هَمٌّ غيرهم، أحب إليك أم يوم تترك فيه تعمل لنفسك لاختار ذلك، وما كان ليجمع مع اليوم شيئاً! إلا اختار اليوم عليه رغبته فيه، وتعظيماً له، بل لو اقتصر على ساعة خيرها، وما بين أضعاف ما وضعت لك وأضعافه، يكون لسواه إلا اختار الساعة لنفسه على أضعاف ذلك يكون لغيره، بل لو اقتصر على كلمة يقولها تكتب له، وبين ما وضعت لك وأضعافه، لاختار الكلمة الواحدة عليه، فانتقد اليوم لنفسك، وأبصر الساعة، وأعظم الكلمة، واحذر الحسرة، عند نزول السكرة، ولا تأمَنْ أن تكونَ لهذا الكلام حجة، نفعنا الله وإياك بالموعظة، ورزقنا وإياك خير العواقب، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته) [١].

كيف يضل قوم فيهم الحسن؟

قال محمد بن إسحاق، ثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثني أبي، قال: ثنا محمد بن ذكوان، قال: ثنا خالد بن صفوان، قال: لما

(١) حلية الأولياء (٢/ ١٣٤ ـ ١٤٠).

لقيت «مسلمة بن عبد الملك» بالحيرة، قال: يا خالد! أخبرني عن حسن أهل البصرة، قلت: أصلح الله الأمير، أخبرك عنه بعلم أنا جاره إلى جنبه وجليسه في مجلسه، وأعلم من قِبَلي به، أشبه الناس سريرة بعلانيته، وأشبه قولاً بفعل، إن قعد على أمر قام به، وإن قام على أمر قعد عليه، وإن أمر بأمر كان أعمل الناس به، وإن نهى عن شيء كان أترك الناس له، رأيته مستغنياً عن الناس، ورأيت الناس محتاجين إليه. قال: حسبك يا خالد! كيف يَضِلُّ قومٌ هذا فيهم؟

من مواعظ الحسن:

عن سليمان بن أحمد، قال: ثنا علي بن عبد العزيز، قال: ثنا عبيد الله بن محمد بن عائشة، قال: ثنا صالح المري، عن الحسن، قال: ابن آدم! إنما أنت أيام، كلما ذهب يوم ذهب بعضك. وعن أحمد بن جعفر بن معبد، قال: ثنا أحمد بن مهدي، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنا معاوية بن صالح، عن أبي عبيد، عن الحسن بن أبي الحسن، قال: ما من رجل يرى نعمة الله عليه فيقول: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، إلا أغناه الله تعالى وزاده. وكان الحسن يتمثل بهذا البيت في أول النهار:

يسر الفتى ما كان قدَّم من لقًى ... إذا عرف الداء الذي هو قاتلُهْ

ويتمثل بهذا البيت في آخر النهار:

وما الدنيا بباقيةٍ لحيٍّ ... ولا حيٌّ على الدنيا بباقِ

وعن المبارك بن فضالة، قال: سمعت الحسن يقول: (فضح الموت الدنيا، فلم يترك فيها لذي لب فرحاً).

وعن محمد بن النعمان السلمي، قال: ثنا هدية، قال: ثنا بن أبي حزم، قال: سمعت الحسن يقول: (بئس الرفيقان الدرهم والدينار، لا ينفعانك حتى يفارقانك).

وعن المبارك بن فضالة، قال: سمعت الحسن يقول: (ابن آدم! طَإِ الأرض بقدمك فإنها عن قليل قبرك، إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك). وعن زافر بن سليمان، عن أبي قيس، عن الحسن، قال: لا تخالفوا الله عن أمره، فإن خلافاً عن أمره عمران دار قضى الله عليها بالخراب.

وعن إبراهيم بن عطاء، عن أبي عبيدة، عن الحسن، عن عمران بن حصين، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق، ألا فزيِّنوا دينكم بهما»**. وعن الحسن، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كان ذا لسانين في الدنيا، جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار»**. وكان «الحسن» ﷺ ـ يرى من يعزُّ المال صائراً إلى مذلة وهوان لا محالة، فقد روى أحمد بن جعفر، قال: ثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني علي بن مسلم، قال: ثنا سيار، قال: ثنا جعفر، قال: ثنا هشام، قال: سمعت الحسن يحلف بالله، ما أعز أحدٌ الدرهمَ إلا أذله الله. وعن محمد بن أحمد بن الحسن، قال: ثنا بشر بن موسى، قال: ثنا الحميدي، قال: ثنا سفيان بن عيينة، قال: ثنا أبو موسى، قال: سمعت «الحسن» يقول: ـ وأتاه رجل، فقال: إني أريد السِّنْ فأوصني ـ قال: (حيث ما كنت، فأعِزَّ الله يُعزَّك)، قال: فحفظت وصيته، فما كان بها أحد أعزّ مني حتى رجعت.

وعظه لعمر بن هبيرة:

جاء في حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني: [حدثنا أبي، قال: ثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، قال: ثنا أحمد بن محمد بن يسار، قال يحيى بن سعيد: قال: ثنا يزيد بن عطاء عن علقمة بن مرثد، قال: لما ولي «عمر بن هبيرة» العراق، أرسل إلى «الحسن» وإلى «الشعبي»، فأمر لهما ببيت وكانا فيه شهراً ـ أو نحوه ـ ثم إن الخصي غدا عليهما ذات يوم، فقال: إن الأمير داخل عليكما، فجاء «عمر» يتوكأ على عصا له، فسلَّم، ثم جلس، معظماً لهما، فقال: إن أمير المؤمنين «يزيد بن عبد الملك» ينفذ كتباً أعرف أن في إنفاذها الهلكة، فإن أطعته عصيت الله، وإن عصيته أطعت الله ﷻ، فهل تريا لي في متابعتي إياه فرجاً؟ فقال «الحسن»: يا أبا عمرو! أجب الأمير، فتكلم الشعبي فانْحطَّ في حبل «ابن هبيرة»، فقال: ما تقول أنت يا أبا سعيد!؟ فقال: أيها الأمير! قد قال «الشعبي» ما قد سمعت. قال: ما تقول أنت يا أبا سعيد!؟ فقال: أقول: يا عمر بن هبيرة! يوشك أن ينزل بك مَلَكٌ من ملائكة الله تعالى فظ غليظ لا يعصي الله ما أمره، فيخرجك من سعة قصرك، إلى ضيق قبرك.

يا عمر بن هبيرة! إن تتق الله يعصمك من «يزيد بن عبد الملك» ولا يعصمك «يزيد بن عبد الملك» من الله ﷻ.

يا عمر بن هبيرة! لا تأمن أن ينظر الله إليك على أقبح ما تعمل في طاعة «يزيد بن عبد الملك» نظرة مقت، فيغلق بها باب المغفرة دونك.

يا عمر بن هبيرة! لقد أدركت ناساً من صدر هذه الأمة، كانوا والله على الدنيا وهي مقبلة أشد إدباراً من إقبالكم عليها وهي مدبرة.

يا عمر بن هبيرة! إني أخوفك مقاماً خوفكه الله تعالى، فقال: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤].

يا عمر بن هبيرة! إن تك مع الله تعالى في طاعته كفاك بائقة «يزيد بن عبد الملك»، وإن تك مع «يزيد بن عبد الملك» على معاصي الله، وكلك الله إليه. قال: فبكى «عمر» وقام بعَبْرته، فلما كان من الغد أرسل إليهما بإذنهما وجوائزهما، وكثر منه ما للحسن. وكان في جائزته للشعبي بعض الإقتار، فخرج «الشعبي» إلى المسجد، فقال: يا أيها الناس! من استطاع منكم أن يؤثر الله تعالى على خلقه فليفعل، فوالذي نفسي بيده ما علم «الحسن» منه شيئاً فجهلته، ولكن أردت وجه «ابن هبيرة» فأقصاني الله منه] (١). هكذا كان «أبو سعيد، الحسن البصري» لا يخشى في الله لومة لائم، ثقة بنصر الله وتأييده لمن كان مع الحق، وحفظه من الأشرار والمبطلين.

الآية التي تجمع الخير والشر:

عن محمد بن أحمد، قال: ثنا محمد بن يحيى المروزي، قال: ثنا عاصم بن علي، قال: ثنا جويرية بن بشير، قال: سمعت «الحسن» قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ [النحل: ٩٠] ثم وقف، فقال: إن الله جمع لكم الخير كله والشر كله في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل والإحسان شيئاً من طاعة الله ﷻ إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئاً إلا جمعه.

انتقاله إلى البصرة:

أفاد «الحسن» رضي الله عنه من أمه وأبيه الشيء الكثير، فأمه «خَيْرَة» التي كانت مولاة لأم سلمة رضي الله عنها، وأبوه «يسار» الذي كان مولى لزيد بن ثابت رضي الله عنه، كاتب الوحي، جعلاه ينهل من علم البيت النبوي، وبيت الصحابي الجليل خيراً كبيراً،

(١) حلية الأولياء (٢/ ١٤٩ ـ ١٥٠).

ومعرفة جليلة، ولما بلغ الرابعة عشرة، انتقل إلى البصرة، وكان جُلَّ وقته ينفقه في مسجد البصرة، وصارت له حلقة من حلقات التدريس فيه، وكانت حلقته أكبرها. وكان ﷺ ممن شهد حصر «عثمان بن عفان» يوم الدار. وكتب رسائل عديدة إلى عدد من الأمراء والولاة، وقد طعن في سياساتهم علناً، ولما أراد «الحجاج» الآثم أن يلحقه بركب من قتل من العلماء استدعاه، وقد أعد النِّطَعَ والسياف، حتى إذا دخل عليه، نَبَسَ ببعض الكلمات، وذهل الحاضرون حين رأوا غضب «الحجاج» قد سكن، وتحوَّل إلى ترحيب، فقربه وأجلسه على سريره، ثم طيب لحيته بالغالية، وهو يقول: أنت سيد العلماء، يا أبا سعيد! ولما خرج من عنده تبعه الحاجب، وقد ركبته دهشة عظيمة، وقال له: لقد دعاك «الحجاج» لأمر، غير الذي صنع، فما الذي تحركت به شفتاك يا أبا سعيد، حين دخلت!؟ فقال: قلت: (يا ولي نعمتي، وملاذي عند كربتي، اجعل نقمته برداً وسلاماً عليَّ كما جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم).

لقد جرى ما جرى، وأنا على يقين، أن رب العالمين، لا يتخلى عنهم ويسلمهم للظالمين، وفي سنة (١١٠هـ) مات «أبو سعيد» رحمه الله تعالى.

٤ ـ علي بن الحسين بن علي (زَين العابدين)

نجل أحد الريحانتين، وحفيد أمير المؤمنين «علي بن أبي طالب» ﷺ. لما جِيءَ بسبي فارس في خلافة «عمر بن الخطاب» ﷺ كان في السبي ثلاث بنات لملكهم «يزدجرد»، فشَراهن «علي بن أبي طالب» ﷺ، ثم أعطى واحدة لعبد الله بن عمر، فولدت له «سالم بن عبد الله»، وأعطى الثانية لمحمد بن أبي بكر الصديق، فولدت له «القاسم بن محمد» وأعطى الثالثة واسمها «سلافة» لولده «الحسين بن علي» فولدت له «علي بن الحسين» المعروف بزَيْن العابدين ﷺ أجمعين، وكان مولده في السنة الثامنة والثلاثين للهجرة. ويعتبر «زَيْن العابدين» واحداً من سادات التابعين.

كثرة عبادته وصدقته:

كان «علي» ﷺ، كثير العبادة حتى أطلق عليه لقب «السَّجَّاد» لكثرة سجوده وتنفّله، كما كان كثير الصدقة والعطاء، وقد روى «أبو حمزة الثمالي» قال: كان «علي بن الحسين» يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به، ويقول: إن صدقة السر تطفىء غضب الرب ﷻ. وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبو معمر، ثنا جرير، عن شيبة بن نعامة، قال: كان «علي بن الحسين» يُبَخَّل، فلما مات وجدوه يقوت مائة أهل بيت بالمدينة.

قال جرير في الحديث ـ أو من قبله ـ: إنه حين مات وجدوا بظهره آثاراً مما كان يحمل بالليل الجُرُب إلى المساكين. وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبو موسى الأنصاري، قال: ثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، قال: كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات «علي بن الحسين» فقدوا ما كانوا يؤتون به في الليل. وعن أبي حامد بن جبلة، قال: ثنا أبو العباس الثقفي، قال: ثنا محمد بن زكريا، قال: سمعت «ابن عائشة» يقول: قال أبي: سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر حتى

مات «علي بن الحسين». وعن واقد بن محمد، عن سعيد بن مرجانة: قال محمد «علي بن الحسين» إلى عبد له كان «عبد الله بن جعفر» أعطاه به عشرة آلاف درهم أو ألف دينار، فأعتقه. وقال ابن المنهال الطائي: إن «علي بن الحسين» كان إذا ناول الصدقة السائل، قبَّله، ثم ناوله. وعن عمر بن دينار، قال: دخل «علي بن الحسين» على «محمد بن أسامة بن زيد» في مرضه فجعل يبكي، فقال: ما شأنك؟ قال: علي دين، قال: كم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار، قال: فهو عليَّ. وقال «أبو جعفر»: إن أباه «علي بن الحسين» قاسم الله ﷻ ماله مرتين، وقال: إن الله تعالى يحب المؤمن المذنب التائب.

فضله وورعه:

قال أحمد بن حمدان: ثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبو معمر، ثنا ابن أبي حازم، قال: سمعت أبي حازماً، يقول: ما رأيت هاشمياً أفضل من «علي بن الحسين». وقال الهيثم بن عدي؛ أخبرنا صالح بن حسان، قال: قال رجل لسعيد بن المسيَّب: ما رأيت أحداً أورع من فلان؟ قال: هل رأيت «علي بن الحسين؟» قال: لا، قال: ما رأيت أحداً أورع منه. وذكر العلامة «كمال الدين الدَّميري» في موسوعة «حياة الحيوان الكبرى»: [لما حج «هشام بن عبد الملك» في أيام أبيه، طاف بالبيت، وجهد أن يصل إلى الحجر الأسود ليستلمه، فلم يقدر على ذلك لكثرة الزحام، فنصب له كرسي، وجلس عليه ينظر إلى الناس ومعه جماعة من أعيان الشام، فبينما هو كذلك إذ أقبل «زَيْن العابدين علي بن الحسين بن علي» ﷺ، وكان من أجمل الناس وجهاً، وأطيبهم أرجاً، فطاف بالبيت، فلما انتهى إلى الحجر، تنحَّى له الناس، حتى استلم الحجر، فقال رجل من أهل الشام لهشام: من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال «هشام»: لا أعرفه، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام. وكان «الفرزدق» حاضراً، فقال: أنا أعرفه، فقال الشامي: من هو يا أبا فراس!؟ فقال الفرزدق:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأتَه ... والبيت يعرفه والحِلُّ والحرمُ
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلمُ
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهلَه ... بجده أنبياء الله قد خُتِمُوا
وليس قولك من هذا؟ بضاره ... العرب تعرف من أنكرت والعجمُ
كلتا يديه غياث عمَّ نفعُهما ... يُسْتَوْكَفان ولا يعروهما عدمُ

سهل الخليقةِ لا تخشى بوادره ... يزينه اثنان: حسن الخَلْق والشيَمُ
حمال أثقالِ قوامٍ إذا افتدحوا ... حلو الشمائل تحلو عنده نَعَمُ
ما قال لا قط إلا في تشهده ... لولا التشهد كانت لاءه نَعَمُ
عَمَّ البرية بالإحسان فانقشعت ... عنها الغياهب والإملاق والعدمُ
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلَّم إلا حين يبتسمُ
بكفه خيزرانٌ ريحه عَبِقٌ ... من كف أروعَ في عرنينه شممُ
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلمُ
الله شرفه قِدْماً وعظَّمه ... جرى بذاك له في لوحة القلمُ
أي الخلائق ليست في رقابهم ... لأوَّلِيَّة هذا أوله نِعَمُ
من يشكرِ الله يشكر أوَّلِيَّة ذا ... فالدين من بيت هذا ناله الأُمَمُ
ينمى إلى ذُروة الدين التي قصُرت ... عنها الأكف وعن إدراكها القدمُ
مَنْ جدُّه وإن فضلُ الأنبياء له ... وفضل أمته دانت له الأُمَمُ
مشتقَّة من رسول الله نَبْعتُه ... طابت مغارسه والخيم والشِّيَمُ
ينشق ثوب الدجى عن نور غرته ... كالشمس تنجاب عن إشراقها الظُّلَمُ
من معشر حبهم دينٌ وبغضهم ... كفر وقربهم منجًى ومعتصَمُ
مقدَّم بعد ذكر الله ذكرهُمُ ... في كل بدءٍ ومختوم به الكَلِمُ
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل مَنْ خير أهل الأرض؟ قيل هُمُ
لا يستطيع جواد بعد جودهمُ ... ولا يدانيهمُ قوم وإن كَرُمُوا
هُمُ الغيوثُ إذا ما أزمة أزَمَتْ ... والأسد أسد الشَّرَى والبأس محتدِمُ
لا يُنْقِصُ العسرُ بسطاً من أكفهُم ... سيَّان ذلك إن أثْرَوْا وإن عَدِمُ[1]
يُسْتدفَع الشر والبلوى بحبهُم ... ويُسْتَربُّ به الإحسان والنِّعَمُ

فغضب «هشام» على «الفرزدق» وأمر بحبسه، فأنفذ له «زين العابدين» اثني عشر ألف درهم، فردَّها وقال: مدحته لله تعالى لا للعطاء، فأرسل إليه «زَيْن العابدين» وقال له: إنا أهل بيت، إذا وهبنا شيئاً لا نستعيد، والله ﷻ يعلم

(١) عَدِمُ: هكذا في الأصل، والأصح: عَدِموا.

نيتك، ويثيبك عليها، فشكر الله لك سعيك، فلما بلغته الرسالة قَبِلَها [١].

شدة خشيته من الله:

كان «علي بن الحسين» ﷺ عابداً وفياً، وجواداً خصيماً، وبالله غنياً، فقد ذكر سليمان بن أحمد، قال: ثنا محمد بن زكريا الغلابي، قال: ثنا العتبي، قال: ثنا أبي، قال: كان «علي بن الحسين» إذا فرغ من وضوئه للصلاة، وصار بين وضوئه وصلاته أخذته رعدة ونفضة، فقيل له في ذلك، فقال: ويحكم! أتدرون إلى من أقوم؟ ومن أريد أن أناجي؟ وقال جرير، عن عمرو بن ثابت، قال: كان «علي بن الحسين» لا يضرب بعيرٌ من المدينة إلى مكة. وعن الحسن بن محبوب، عن أبي حمزة الثمالي، قال: سمعت «علي بن الحسين» يقول: (من قنع بما قسم الله له، فهو من أغنى الناس).

أهل الصبر وأهل الفضل:

عن عبد الله بن محمد بن جعفر، قال: ثنا محمد بن إسماعيل العسكري العطار، قال: ثنا صهيب بن محمد، قال: ثنا شداد بن علي، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين، قال: (إذا كان يوم القيامة ينادي مناد: أين أهل الصبر؟ فيقوم ناس من الناس، فيقال: علام صبرتم؟ قالوا: صبرنا على طاعة الله، وصبرنا عند معصية الله ﷻ، فيقال: صدقتم، ادخلوا الجنة). وذكر سليمان بن أحمد، قال: ثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، قال: ثنا حفص بن عبد الله الحلواني، قال: ثنا زافر بن سليمان، عن عبد الحميد بن أبي جعفر الفراء، عن ثابت بن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين، قال: إذا كان يوم القيامة، نادى مناد: ليقم أهل الفضل، فيقوم ناس من الناس، فيقال: انطلقوا إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة، فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة، قالوا: قبل الحساب؟ قالوا: نعم! قالوا: من أنتم؟ قالوا: أهل الفضل، قالوا: وما كان فضلكم؟ قالوا: كنا إذا جهل علينا حلمنا، وإذا ظلمنا صبرنا، وإذا أُسِيَ علينا غفرنا، قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين، ثم ينادي مناد: ليقم أهل الصبر، فيقوم ناس من الناس، فيقال لهم: انطلقوا الجنة، فتتلقاهم الملائكة،

(١) حياة الحيوان (١/ ١١ ـ ١٢) والأبيات من الديوان (٢ ٢٨٩ ـ ٢٩٤) ط. دار الجيل.

فيقال لهم مثل ذلك، فيقولون: نحن أهل الصبر، قالوا: ما كان صبركم؟ قالوا: صبرنا أنفسنا على طاعة الله، وصبرناها عن معصية الله ﷻ، قالوا: ادخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين، ثم ينادي مناد: ليقم جيران الله في داره، فيقوم ناس من الناس، وهم قليل، فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة، فيقال لهم مثل ذلك، قالوا: وبما جاورتم الله في داره؟ قالوا: كنا نتزاور في الله ﷻ، ونتجالس في الله، ونتباذل في الله، قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين.

إقباله على العلم:

أكب «علي» على كتاب الله تعالى أولاً ليمسكت منه نهمته، وكان والده «الحسين بن علي» رضي الله عنهما نعم المعلم، حيث لقنه حديث رسول الله ﷺ، ورأى في حلقات الدرس التي تعقد في مسجد رسول الله ﷺ ما ينقع الغلة، ويطفىء لهيب الصدور، ذلك أن سادة التابعين، كانوا لا يكادون يبرحونه، يفقِّهون الناس ويعلمونهم أمور دينهم الحنيف. ولا غرو، فقد كانوا هداة مهديين، وعلماء عاملين، ولا خير في عالم لم يعمل بعلمه، ولم ينفع به الناس، في دينهم أو في دنياهم، وبئس العالم الذي يكتم علمه عن الناس وهم في مسيس الحاجة إليه، فقد أعد الله لهم لُجُماً من نار، في دار هي بئس القرار.

ولم تكن تلاوة «علي بن الحسين» كتلاوة غيره من الناس، فإذا مَرَّ بآية فيها ذكر الجنة، فاضت عيناه حنيناً وشوقاً إليها، وإذا قرأ آية فيها ذكر النار، شهق شهقة تكاد نفسه تخرج معها، ذلك أنه يعي ما يقرأ، ويفقه ما يتلو، ويدرك أن وعده ووعيده آتيان، في يوم قريب تشخص فيه الأبصار، ولا يعلم أصحابها أإلى الجنة مآلهم أم إلى النار.

كثرة دعائه وبكائه:

كان «علي بن الحسين» كثير الدعاء، كثير البكاء، ولما كُلِّم في ذلك ذكر شهوده مذبحة كربلاء يوم تناوشت السيوف عترة رسول الله ﷺ ومزقتهم أي ممزق على يد البغاة والظالمين.

فقد جاء في حديث عمر بن أحمد بن عثمان، قال: ثنا عمر بن الحسن، قال: ثنا عبد الله بن محمد بن عبيد، قال: ثنا الحسين بن عبد الرحمٰن، عن أبي حمزة الثمالي، عن جعفر بن محمد، قال: سئل «علي بن الحسين» عن كثرة

بكائه، فقال: لا تلوموني فإن «يعقوب» فقد سبطاً من ولده، فبكى حتى ابيضَّت عيناه، ولم يعلم أنه مات، وقد نظرت إلى أربعة عشر رجلاً من أهل بيتي في غزاة واحدة، أفترون حزنهم يذهب من قلبي؟ أجل! إن يوم كربلاء لمصيبة فادحة، وخَطْبٌ جَلَل، لم يخلق له جَلَدٌ، ولم يُطَقْ فيه صبر، فكيف بِحَبْسِ الدموع؟

وقد بَصُرَ به ذات يوم «طاوس بن كيسان» يبكي ويدعو، وهو متعلق بأستار الكعبة، فسمعه يقول: ربِّ! لقد أذقتني من رحمتك ما أذقتني، وأوليتني من نعمتك ما أوليتني، فصرت أدعوك آمناً من غير وجل، وأسألك مستأنساً من غير خوف، وأتوسل إليك توسل من اشتدت فاقته إلى رحمتك، وضعفت قوته عن أداء حقوقك، فاقبل مني دعاء الغريق الغريب الذي لا يجد من ينقذه سواك، يا أكرم الأكرمين! فلما كف عن بكائه وتوقف عن دعائه، دنا منه «طاوس» وقال: يابن رسول الله! أتبكي ولك ثلاث خصال أرجو أن تؤمنك من الفزع، فقال «علي»: وما هن يا «طاوس!؟». قال: الأولى: أنك ابن رسول الله ﷺ، والثانية: شفاعته لك، والثالثة: رحمة الله. فردَّ «علي» بقوله: يا طاوس! كيف يؤمنني انتسابي إلى رسول الله ﷺ وقد سمعت قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ [المؤمنون: ١٠١]. وأما شفاعة جدي رسول الله ﷺ فالله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. وأما رحمة الله تعالى، فيقول جل شأنه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

فإذا كان هذا العابد الناسك الخاشع، سبط النبوة غير آمن، فما يصنع الذين هم عن ذكر الله غافلون، والذين إذا صَلّوا لا يخشعون، والذين في غيهم يمضون وهم سادرون؟ وروي أنه ﷺ أرسل غلاماً له في حاجة، فأبطأ عليه بها، فلما عاد أنَّبه، ثم خفقه بسوط كان في يده، فبكى الغلام، وقال: أهذا جزائي أن قضيت لك حاجتك؟ فأطرق «عليٌّ» هنيهة، ثم قال: اذهب إلى مسجد رسول الله ﷺ، وصل ركعتين، ثم قل: اللَّهم! اغفر لعلي بن الحسين، فإن فعلت فأنت حر، وفعل الغلام ذلك فاشترى حريته بركعتين وكلمتين، فيا لها من صفقة رابحة! وما أوثق صلة «زَيْن العابدين» بالله! فقد كان بوسعه أن يحرره بقوله: أنت حر، وينتهي الأمر، ولكنه أراد أن يتمَّ الأمر مروراً بباب الله، الذي لا غنى عنه لأحباب الله، ويشهدَه على ما أراد وارتضاه، وقد روي أنه أعتق ألف عبد، أو

يزيدون. وكان أكثر ما يعتق عبيده في ليلة العيد ليجعل فرحتهم فرحتين: الفرحة بالحرية، والفرحة بالعيد، فما أسعد العبيد، بمثل هذا السيّد الفريد!

تقسيمه للصوم:

ذكر «أبو نعيم» في «حلية الأولياء»: [أخبرنا أبو بكر بن محمد بن أحمد البغدادي في كتابه، وحدثني عنه عثمان بن محمد العثماني، ثنا عبد الصمد بن محمد، حدثني جعفر بن محمد بن جعفر، ثنا مخلد بن مالك، عن سفيان بن عيينة، عن الزهري، قال: دخلنا على «الحسين بن علي»، فقال: يا زهري! فيم كنتم؟ قلت: تذاكرنا الصوم، فأجمع رأيي ورأي أصحابي على أنه ليس من الصوم شيء واجب إلّا شهر رمضان، فقال: يا زهري! ليس كما قلتم، الصوم على أربعين وجهاً: عشرة منها واجبة، كوجوب شهر رمضان، وعشرة منها حرام، وأربع عشرة خصلة صاحبها بالخيار، إن شاء صام، وإن شاء أفطر، وصوم النذر واجب، وصوم الاعتكاف واجب. قال: قلت: فَسِّرْهُنَّ، يابن رسول الله! قال: أما الواجب فصوم شهر رمضان، وصيام شهرين متتابعين ـ يعني في قتل الخطإ لمن لم يجد العتق ـ قال تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا﴾ [النساء: ٩٢]. وصيام ثلاثة أيام في كفارة اليمين، لمن لم يجد الإطعام، قال الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]، وصيام حلق الرأس، قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ [البقرة: ١٩٦] صاحبه بالخيار، إن شاء صام ثلاثاً، وصوم دم المتعة، لمن لم يجد الهَدْيَ، قال الله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وصوم جزاء الصيد، قال الله ﷻ: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ [النساء: ٩٣] وإنما يقوم ذلك الصيد قيمة، ثم يقص ذلك الثمن على الحنطة.

وأما الذي صاحبه بالخيار، فصوم يوم الاثنين والخميس، وصوم ستة أيام من شوال بعد رمضان، ويوم عرفة، ويوم عاشوراء، كل ذلك صاحبه بالخيار، إن شاء صام، وإن شاء أفطر. وأما صوم الإذن، فالمرأة لا تصوم تطوعاً إلا بإذن زوجها، ولذلك العبد والأمة. وأما صوم الحرام، فصوم يوم الفطر، ويوم الأضحى، وأيام التشريق. ويوم الشك نهينا أن نصومه كرمضان. وصوم الوصال حرام، وصوم الصمت حرام، وصوم نذر المعصية حرام، وصوم الدهر حرام، والضيف لا يصوم تطوعاً إلا بإذن صاحبه، قال رسول الله ﷺ: «من نزل على

قوم فلا يصوم تطوعاً إلا بإذنهم». ويؤمر الصبي بالصوم إذا لم يراهق تأنيساً، وليس بفرض، وكذلك من أفطر لعلة من أول النهار، ثم وجد قوة في بدنه، أُمِرَ بالإمساك، وذلك تأديب الله ﷻ، وليس بفرض، وكذلك المسافر إذا أكل من أول النهار، ثم قدم أُمِرَ بالإمساك. وأما صوم الإباحة، فمن أكل أو شرب ناسياً من غير عمد، فقد أبيح له ذلك، وأجزأه عن صومه. وأما صوم المريض، وصوم المسافرِ، فإن العامة اختلفت فيه، فقال بعضهم: يصوم، وقال قوم: لا يصوم، وقال قوم: إن شاء صام، وإن شاء أفطر، وأما نحن فنقول: يفطر في الحالين جميعاً، فإن صام في السفر والمرض، فعليه القضاء، قال الله ﷻ: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

تواضعه:

كان «علي بن الحسين» شديد التواضع، لين الجانب، يخفض جناحه للمؤمنين، ويُجِلُّ أهل العلم دون النظر إلى أحسابهم وأنسابهم، فقد روى «عبد الله بن جعفر» عن عبد الرحمٰن بن حبيب بن أزدك، قال: سمعت نافع بن جبير، يقول لعلي بن الحسين: غفر الله لك! أنت سيد الناس وأفضلهم، تذهب إلى هذا العبد فتجلس معه ـ يعني زيد بن أسلم ـ، فقال: (إنه ينبغي للعلم أن يتَّبع حيث ما كان). وفي حديث لمحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو يحيى، صاعقة، قال: ثنا سعيد بن سليمان، قال: ثنا هُشَيْم، عن محمد بن عبد الرحمٰن المديني، قال: كان «علي بن الحسين» يتخطَّى حَلَق قومه حتى يأتي «زيد بن أسلم» فيجلس عنده، فقال: (إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه). ومن أقواله: (إنا أهل بيت نطيع الله فيما نحب، ونحمده فيما نكره)، فيا لها من حكمة بالغة! ومن أقوال «علي بن الحسين» ﷺ: (ما أحب أن لي بنصيبي من الذل حُمْرَ النَّعَم). وكان ﷺ يرفض الغلو في محبة آل البيت، فعن شجاع بن الوليد، قال: ثنا خلف بن حوشب، عن علي بن الحسين، قال: يا معشر أهل العراق! يا معشر أهل الكوفة! أحبونا حبَّ الإسلام، ولا ترفعونا فوق حقنا.

إسناده للحديث:

أسند «علي» أحاديث كثيرة، وسمع من «ابن عباس» و«جابر» و«صفية» و«أم سلمة» وسواهم، وفي سنة ٩٤هـ أدركته الوفاة، رحمه الله تعالى.

٥ ـ عروة بن الزبير بن العَوَّام

فقيه جليل، ومحدث كبير، وعابد زاهد، وصوَّام قوَّام، تيسَّرت له الطاعة فاكتسب، ولما امتحن بالمحنة احتسب. ذو حسب فذ، ونسب فريد، والده «الزبير بن العوام» الفارس الهمام، وأول من سَلَّ سيفاً في الإسلام، وأمه ذات النطاقين «أسماء بنت أبي بكر الصديق» وخالته «عائشة» زوج رسول الله ﷺ، وأخوه لوالديه «عبد الله بن الزبير» وأخوه لأبيه «مصعب بن الزبير» وكنيته «أبو عبد الله». ولد في السنة الثانية والعشرين للهجرة المباركة، وكان هواه للعلم شديداً، وقد أفاد من نبع خالته «عائشة» رضي الله عنها علماً كثيراً، حتى غدا أحد ثلاثة هم أعلم الناس بحديثها، والآخران «القاسم بن محمد بن أبي بكر» و«عمرة بنت عبد الرحمٰن». ثم ترقَّى حتى كان أحد فقهاء المدينة السبعة رحمهم الله.

المُعطَى ما تمنّى:

ما أعظم أن يتمنى المرء أمنية غالية، ويسأل الله تحقيقها، فيَمُنَّ الله بها عليه. ذاكم هو «عروة بن الزبير» المعطى ما تمنى، فما الشيء الذي تمناه، وأعطاه الله إياه؟ ذكر «أبو نعيم» في حليته: [حدثنا أحمد بن بُنْدَار، قال: ثنا عبد الله بن سليمان الأشعث، قال: ثنا سليمان بن معبد، قال: ثنا الأصمعي، عن عبد الرحمٰن بن أبي الزناد، عن أبيه، قال: اجتمع في الحجر «مصعب بن الزبير» و«عروة بن الزبير» و«عبد الله بن الزبير» و«عبد الله بن عمر»، فقالوا: تمنَّوْا، فقال «عبد الله بن الزبير»: أما أنا فأتمنى الخلافة. وقال «عروة»: أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عني العلم. وقال «مصعب»: أما أنا فأتمنى إمرة العراق، والجمع بين «عائشة بنت طلحة» و«سكينة بنت الحسين». وقال «عبد الله بن عمر» رضي الله عنهما: أما أنا فأتمنى المغفرة، قال: فنالوا كلهم ما تمنوا، ولعل «ابن عمر» قد غفر له] [(١)].

---

(١) حلية الأولياء (٢/ ١٧٦).

عروة الراوية:

حصَّل «عروة بن الزبير» ﷺ علماً غزيراً، بَوَّأه منزلة رفيعة، ومكانة مرموقة بين رواة الحديث. وممن روى عنهم غير خالته «عائشة» أم المؤمنين، والده «الزبير بن العوَّام» و«عبد الله بن عباس» و«أبو هريرة» و«عبد الله بن عمر» ﷺ. وقد مكَّنه تنقله بين البصرة ومصر التي أقام فيها سبع سنوات، ثم عاد بعدها إلى المدينة، من لقاء كبار الفقهاء في تلك البلاد، والتدارس معهم بكل المسائل ذات الصلة بالحديث النبوي الشريف. وكان «عروة» ﷺ يتألَّف الناس على حديثه، فقد روى محمد بن إسحاق قال: ثنا قتيبة بن سعيد، قال: ثنا سفيان، عن الزهري، عن عروة: أنه كان يتألف الناس على حديثه، قال عمرو بن دينار: أتيناه، فقال: ائتوني فتلقوا مني. وروي عنه أنه قال لابنه: يا بني! سلوني، فلقد تُرِكْتُ حتى كدتُ أن أنسى، وإني لأُسأل عن الحديث فيفتح حديث يومي. وقد أجمع الفقهاء والعلماء في زمن «عروة» على علو منزلته، وفضله، والثقة في روايته، وطول باعه في هذا المضمار.

تعلقه بالقرآن:

كان كتاب الله تعالى لعروة خير جليس فهو في نهاره يقرأ من المصحف بلسانه وناظريه، وفي الليل يتهجد به عن ظهر قلب، فوثق كل منهما بصاحبه حتى أمسى لا يطيق فراقه، فما أكرمها من نعمة! وما أعظمه من فضل! وقد ذكر أبو حامد بن جبلة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثنا محمد بن عمرو الباهلي، قال: ثنا الأصمعي، عن ابن أبي الزناد، قال: قال عروة بن الزبير: (كنا نقول: لا نتخذ كتاباً مع كتاب الله، فمحوت كتبي، فوالله، لوددت أن كتبي عندي، إنَّ كتاب الله قد استمرَّت مريرته ـ أي: ألِفَهُ واستحكم أمرُه عليه ـ). وفي رواية أخرى عن هشام بن عروة، قال: أحرق أبي يوم الحُرَّة كتب فقه كانت له، فكان يقول بعد ذلك: لأن تكون عندي أحب إليَّ من أن يكون لي مثل أهلي ومالي.

خبر وديعة عروة:

أودع «عروة بن الزبير» بعض المال لدى «طلحة بن عبيد الله» ثم بلغه أن «طلحة» تصرف في الوديعة، ولم يكن ما بلغه صحيحاً، وقد روى سليمان بن أحمد، قال: ثنا علي بن عبد العزيز، قال: ثنا الزبير بن بكار، حدثني محمد بن الضحاك، قال: استودع «عروة بن الزبير» طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمٰن بن

أبي بكر الصديق مالاً من مال بني «مصعب بن الزبير» لما خرج إلى الشام، وأم طلحة «عائشة بنت طلحة بن عبيد الله»، فبلغ «عروة» أن «طلحة» يبني ويبتاع الرقيق والإبل والغنم. فلما قدم كره أن يكشفه وأن يقتضيه المال، فجعل يلقاه ويستحي من تقاضيه، فقال له «طلحة» ذات يوم: ألا تريد مالك؟ فقال: بلى! قال: فأرسلْ، فخذه، فقال «عروة»: متى؟ قال: متى شئت، فبعث معه «عروة» رسولاً، فإذا هو قد هدم عليه بيتاً، فاستخرج المال، فأتى به. فتمثل «عروة» عند ذلك:

فما استخبأتْ في رجل خبيئاً ... كمثل الدين أو حَسَبٍ عتيق
ذوو الأحسابْ أكرم مأثراتٍ ... وأصبر عند نائبة الحقوق

ولاية عمر بن عبد العزيز على المدينة:

لما قدم «عمر بن عبد العزيز» المدينة، والياً عليها من قبل «الوليد بن عبد الملك» أقبل الناس لتَهْنِئَتِه والسلام عليه، حتى إذا فرغ من صلاة الظهر، استدعى عشرة من الفقهاء، وحين دخلوا عليه، وكان فيهم «عروة بن الزبير» أكرمهم وأثنى عليهم، وبعد حمد الله تعالى، والثناء عليه، قال: لقد دعوتكم لأمر لكم فيه أجر عظيم، وما ذاك إلا أن تكونوا عوني على إحقاق الحق، وقد أزمعت ألا أقطع بأمر خلافاً لرأيكم فيه، أو من حضره منكم، وإن بلغكم تَعَدٍّ من أحد عمالي على حق أحد، فأنشدكم الله أن تخبروني. وخرج الفقهاء جميعاً من المجلس، وهم يثنون على الأمير، ويدعون له بالسداد، ولا غرو، أن يصدر ذلك عن خامس الخلفاء الراشدين الذين رعوا حق الله، وحق العباد، ولم يتعدوا سبيل الرشاد.

نصحه لولده:

قال أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: ثنا عمر بن هبة أبو زيد، قالا: ثنا الأصمعي، قال: ثنا عبد الرحمٰن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، قال: قال عروة لبنيه: يا بَنِيَّ! لا يهدين أحدكم إلى ربه ﷻ ما يستحي أن يهديه إلى كريمه، فإن الله ﷻ أكرم الكرماء، وأحق من اختير إليه. وكان يقول: يا بَنِيَّ! تعلَّموا، فإنكم إن تكونوا صغراء قوم عسى أن تكونوا كبراءهم، واسوءتاه! ماذا أقبح من شيخ جاهل؟

وكان يقول: إذا رأيتم خَلَّة شر رائعة من رجل فاحذروه، وإن كان عند الناس رجل صدق فإن لها عنده أخوات، وإذا رأيتم خَلَّة خير رائعة من رجل، فلا تقطعوا عنه إياسكم، وإن كان عند الناس رجل سوء فإن لها عنده أخوات. وقال: الناس بأزمنتهم أشبه منهم بآبائهم وأمهاتهم ـ لفظ الجوهري. وعن سليمان بن أحمد، قال: ثنا أحمد بن شاهين، قال: ثنا مصعب بن عبد الله الزبيري، حدثني أبي، ثنا هشام بن عروة، قال: قال عروة بن الزبير: رب كلمة ذل احتملتها أورثتني عزًّا طويلاً.

حدثنا عبد الله بن محمد، قال: ثنا محمد بن شبل، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا حفص بن غياث، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: إذا رأيت الرجل يعمل الحسنة، فاعلم أن لها عنده أخوات، فإذا رأيته يعمل السيئة، فاعلم أن لها عنده أخوات، فإن الحسنة تدل على أخواتها، وإن السيئة تدل على أخواتها.

حدثنا الحسن بن محمد بن كيسان، قال: ثنا إسماعيل بن إسحاق، قال: ثنا نصر بن علي، قال: ثنا الأصمعي، عن ابن أبي الزناد، عن هشام، قال: كان عروة يقول: إني لأعشق الشرف كما أعشق الجمال، فعل الله بفلانة، ألفت بني فلان وهم بيض طوال فقلبتهم سواداً قصاراً.

حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، قال: ثنا علي بن إسحاق، قال: ثنا الحسين بن الحسن، قال: ثنا أبو معاوية الضرير، قال: ثنا هشام بن عروة، عن أبيه، قال: مكتوب في الحكمة: لتكن كلمتك طيبة، وليكن وجهك بسطاً، تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء.

امتحان عروة في جسده وولده:

قال تعالى في التنزيل العزيز: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣]. لقد قضت مشيئة الله أن يمتحن هذا المؤمن المتعبد الصوَّام القوَّام «عروة بن الزبير» في جسده من جهة، وفي ولده من جهة أخرى. وقد روى أبو حامد بن جبلة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثنا محمد بن عبد الملك بن زنجويه، قال: ثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، قال:

وقعت في رجل «عروة» الأكلة. قال: فصعدت في ساقه، فبعث «الوليد» إليه الأطباء فقالوا: ليس لها دواء إلا القطع، قال: فقطعت فما تَضَوَّر وجهه ـ أي: ما تغيَّر ـ. وكان «عروة» قد قدم على «الوليد بن عبد الملك» مع ابنه «محمد» فحدثت له مصيبتان: الأولى في ولده، والثانية في جسده.

فقد ذكر «أبو نعيم» في حليته: [حدثنا سليمان بن أحمد، قال: ثنا الحسن بن المتوكل، قال: ثنا أبو الحسن المدائني عن مسلمة بن محارب، قال: قدم «عروة بن الزبير» على «الوليد بن عبد الملك» ومعه ابنه «محمد بن عروة» فدخل «محمد بن عروة» دار الدواب، فضربته دابة فخَرَّ فحمل ميتاً، ووقعت في رجل «عروة» الأكلة، ولم يدع تلك الليلة وِرْدَه، فقال له «الوليد»: اقطعها، قال: لا. فترقَّت إلى ساقه، فقال له «الوليد»: اقطعها، وإلا أفسدت عليك جسدك، فقطعت بالمنشار ـ وهو شيخ كبير ـ فلم يمسكه أحد، وقال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢].

حدثنا أحمد بن محمد بن سنان، قال: ثنا محمد بن إسحاق الثقفي: سمعت عبد الله بن محمد بن عبيد، يقول: لم يترك «عروة بن الزبير» وِرْده، إلا في الليلة التي قطعت فيها رجله، قال ـ وتمثل بأبيات «معن بن أوس»:

لعمرك ما أهويت كفي لريبة ... ولا حملتني نحو فاحشة رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها ... ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي
وأعلم أني لم تصبني مصيبة ... من الدهر إلا قد أصابت فتىً قبلي] [(١)]

وقد امتحن «عروة» بهذه المحنة، وهو صائم، كما جاء في الحديث الذي رواه أبو حامد بن جبلة، قال: ثنا أبو العباس السراج، قال: ثنا يحيى بن طلحة، قال: ثنا عيسى بن يونس، عن عبد الواحد مولى «عروة»، قال: شهدت «عروة بن الزبير» قطع رجله من المفصل، وهو صائم.

أما أحمد بن محمد بن الفضل، فقال: ثنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم، قال: ثنا عبيد الله بن سعد الزهري، قال: ثنا هارون بن معروف، قال: ثنا صخرة عن ابن شوذب، قال: كان «عروة بن الزبير» يقرأ ربع القرآن كل يوم في

(١) حلية الأولياء (٢/ ١٧٨).

المصحف، ويقوم به ليله، قال: فما تركه إلا ليلة قطع رجله، ثم عاود حزبه من الليلة المقبلة، قال: كان وقعت في رجله الأكلة، قال: فنشرها. وعن أبي حامد بن جبلة أيضاً، قال: ثنا هشام بن عروة، قال: خرج أبي إلى «الوليد بن عبد الملك» فوقع في رجله الأكلة، فقال له «الوليد»: يا أبا عبد الله! أرى لك قطعها، قال: فقطع، وإنه لصائم، فما تَضَوَّر وجهه، قال: ودخل ابن له أكبر ولده اصطبل الدواب فرفسته دابة فقتلته، فما سمع من أبي في ذلك شيء حتى قدم المدينة. فقال: اللَّهم! إنه كان لي أطراف أربعة، فأخذت واحداً وأبقيت لي ثلاثة فلك الحمد، وكان لي بنون أربعة، فأخذت واحداً، وأبقيت لي ثلاثة، فلك الحمد، وأيمُ الله لئن أخذت لقد أبقيت، ولئن أبليت طالما عافيت.

وعن سليمان بن أحمد، قال: ثنا الحسن بن المتوكل، قال: ثنا أبو الحسن المدائني، عن مسلمة بن محارب: لما شخص «عروة» من عند «الوليد» إلى المدينة، أتته قريش والأنصار يعزونه في ابنه ورجله، فقال له «عيسى بن طلحة بن عبيد الله»: يا أبا عبد الله! قد صنع الله بك خيراً، والله، ما بك حاجة إلى المشي، فقال: ما أحسن ما صنع الله إليَّ! وهب سبعة بنين فمتعني بهم ما شاء، ثم أخذ واحداً وأبقى ستة، وأخذ عضواً وأبقى لي خمساً: يدين ورجلاً وسمعاً وبصراً.

يا له من إيمان قوي، واعتراف فريد، بفضل المنعم الوهاب، الذي يعطي ما يريد حين يريد، ويأخذ ما يريد متى يريد!، فهنيئاً لمن صبر على امتحانه، وأبدى عن قوة إيمانه.

الزهادة في الدنيا:

لم يكن «عروة» من أهل الدنيا، ولم تكن زخارفها ومتاعها لتعدل عنده شيئاً، فهمه منصرف إلى الآخرة، ورجاؤه معلق بها، وقد روى عبد الله بن محمد، قال: ثنا محمد بن شبل، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا أبو أسامة، عن هشام بن عروة، قال: قال أبي: إذا رأى أحدكم شيئاً من زينة الدنيا وزهرتها، فليأت أهله، وليأمرهم بالصلاة، وليصطبر عليها. قال: قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١]. إن للدنيا أهلاً، وللآخرة أهلاً، قال تعالى في تنزيله العزيز: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ

فِي ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

تركه للمسجد النبوي الشريف:

كان «عروة بن الزبير» شديد الورع والتقى، وقافاً عند حدود الله، لا يتجاوز ولا يحيف، ولما رأى تبدل أحوال الناس، وابتعادهم عن نهج المصطفى ﷺ ومن تلاه من الخلفاء الراشدين، وتفرق السبل بهم، أزمع ترك الصلاة في المسجد النبوي الشريف، واتخذ له مسجداً في قصره، وقد روى عثمان بن محمد بن عثمان العثماني، قال: ثنا أحمد بن سليمان الطوسي، قال: ثنا الزبير بن بكار، قال: ثنا أبو صخرة؛ أنس بن عياض، عن هشام بن عروة، قال: لما اتخذ «عروة» قصره بالعقيق، قال له الناس: جفوت مسجد رسول الله ﷺ، فقال: (إني رأيت مساجدهم لاهية، وأسواقهم غالية، والفاحشة في فجاجهم عالية، فكان فيما هنالك عما هم فيه عافية).

كرمه وإحسانه:

عرف «عروة» رضي الله عنه، بالجود والكرم، والبذل والسخاء، عن نفس رضيَّة، وكان له حائط ـ بستان ـ تؤتي أشجاره أينع الثمار وأطيبها مذاقاً، وقد اعتاد في كل عام عند نضج الرطب أن يفتح في حائطه فرجاً ليلج الناس عنها لأكل ما يشتهون، وحمل ما يريدون، ثم إذا انتهى الموسم عمد إلى تلك الفرج فسدَّها. وقد روى محمد بن أحمد بن سنان، قال: ثنا محمد بن إسحاق الثقفي، قال: ثنا عبيد الله بن سعيد، قال: ثنا هارون بن معروف، قال: ثنا ضمرة عن ابن شوذب، قال: كان «عروة بن الزبير» إذا كان أيام الرطب، يثلم حائطه، ثم يأذن للناس فيه، فيدخلون ويأكلون ويحملون. قال: وكان ينزل حوله ناس من أهل البدو، فيدخلون ويأكلون ويحملون، وكان إذا دخله ردَّد هذه الآية ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] حتى يخرج من الحائط. ولم يكتف بذلك بل حفر بئراً بالمدينة، ماؤها عذب، ليستقي الناس منها، وسماها «بئر عروة» رضي الله عنه وأرضاه، وأحسن في دار الخلد مثواه.

ولده:

تزوج «عروة» عدة نسوة، رزق منهن الذكور والنساء: فَـ«عبد الله» و«عمر» و«الأسود» و«أم كلثوم» و«عائشة» و«أم عمر» من أم واحدة. و«يحيى» و«محمد»

و«عثمان» و«أبو بكر» و«عائشة» و«خديجة» من أم واحدة، و«صفية» و«هشام» من أم واحدة، وكان «هشام» أشهر أولاده، وقد أصبح من أئمة الحديث المشهورين. و«عبيد الله» من أم واحدة. و«مصعب» و«أم يحيى» من أم واحدة. و«أسماء» من أم واحدة.

مسانيد حديث عروة:

روى «عروة بن الزبير» عدداً من المسانيد عن كبار الصحابة وجمهورهم ـ رجالاً ونساءً ـ ما لا يحصى، فمن مسانيد حديثه:

فعن هشام الدستوائي، عن يحيى بن أبي كثير، عن عروة بن الزبير، عن عبد الله بن عمر، قال: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**إن الله ﷻ لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكنه يقبض العلماء بعلمهم، فإذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلُّوا وأضلُّوا**».

وعن أبي الأسود، عن عروة، عن «علي بن أبي طالب» كرم الله وجهه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة**».

وعن القاسم بن محمد، عن عبيد الله بن عمر، عن هشام بن عروة، عن عروة، عن عبد الرحمٰن بن عوف، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا محمد! ما صنعت في استلام الحجر؟**» قلت: استلمت، وتركت، قال: «**أصبت**». رواه جماعة عن هشام، عن عروة مرسلاً، وجوَّده عن عبيد الله «القاسم بن محمد».

وعن يحيى بن زكريا، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**من أخذ شبراً من الأرض ظلماً طوقه الله يوم القيامة إلى سبع أرضين**».

وعن هشام بن عروة، عن أبيه، عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**خير الصدقة ما تُصَدِّق به عن ظهر غنًى، وليبدأ أحدكم بمن يعول**».

وعن خالد بن عبد الرحمٰن، قال: ثنا سفيان الثوري، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل الخلاء غطى رأسه».

وعن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ﵂، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**النظر إلى عليٍّ عبادة**».

وعن عبد الله بن الوليد العدني، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**شرار أمتي أجرؤهم على صحابتي**».

وفاته:

وفي السنة الثالثة والتسعين للهجرة، وافت المنية «عروة» في «الفُرْع» بالقرب من المدينة، وسميت تلك السنة سنة الفقهاء لكثرة من مات منهم فيها، رحمه الله تعالى.

obeikandl.com

٦ ـ زرُّ بن حُبَيش بن حُبَاشة

محدث خطير، وفقيه كبير، وأحد علماء التابعين الكبار، وجد في زمن النبي ﷺ بيد أنه لم يحظ بصحبته، ولم تكتحل عيناه برؤيته. ووالد «زر» يدعى «حبيش بن حُبَاشة بن أوس» وكنيته «أبو مريم». كان «زر» فصيح اللسان، بليغ البيان، يتحمل الكلال، طلباً للكمال.

لقاؤه ببعض الصحابة:

عن أبي بكر بن مالك، ثنا الحارث بن أبي أسامة، ثنا أبو النصر هاشم بن القاسم، ثنا شيبان بن معاوية، عن عاصم، عن زر بن حُبَيْش، قال: خرجت في وفد لأهل الكوفة، وأيْمُ الله! إن حرضني على الوفادة إلا لقاء أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار. فلما قدمت المدينة، لزمت «أبيّ بن كعب» و«عبد الرحمٰن بن عوف».

وعن سليمان بن أحمد، ثنا عثمان بن عمر الضبي، ثنا عبد الله بن رجاء الغداني، ثنا همام عن زر، قال: وفدت في خلافة عثمان، وإنما حملني على الوفادة لقاء أصحاب رسول الله ﷺ، فلقيت صفوان بن عَسَّال، فقلت: لقيت رسول الله ﷺ؟ فقال: نعم، وغزوتُ معه اثنتي عشرة غزوة. وعن أحمد بن جعفر بن حمدان، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أحمد بن محمد، ثنا محمد بن أيوب، ثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم، عن زر بن حُبَيْش، قال: أتيت المدينة، فدخلت المسجد، فإذا أنا بأبيّ بن كعب، فأتيته، فقلت: رحمك الله، أبا المنذر! اخفض لي جناحك، وكان امرأً فيه شراسة، فسألته عن ليلة القدر، فقال: ليلة سبع وعشرين. قلت: أبا المنذر! رحمك الله، من أين علمت ذلك؟ قال: بالآية التي أخبرنا بها النبي ﷺ.

وروى أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ثنا العباس بن الوليد النرسي، ثنا حماد بن شعيب، عن عاصم، عن زر بن حُبَيْش، قال:

انطلقت حتى قدمت على «عثمان بن عفان»، وأردت لقاء أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار ﷺ. قال عاصم: فحدثني أنه لزم «أبيّ بن كعب» و«عبد الرحمٰن بن عوف». قال: فقلت لأبيٍّ، وكانت فيه شراسة: اخفض جناحك، رحمك الله، فإني إنما أتمتع منك تمتعاً، فقال: تريد ألّا تدع آية في القرآن، إلا سألتني عنها، قال: فكان لي صاحب صدق. فقلت: يا أبا المنذر! أخبرني عن ليلة القدر، فإن ابن مسعود، يقول: من يقيم الحول يصبها، فقال: والله لقد علم أنها في رمضان، ولكنه عمى على الناس لئلا يتكلوا، والله الذي أنزل الكتاب على «محمد» ﷺ إنها لفي رمضان، وإنها ليلة سبع وعشرين. فقلت: يا أبا المنذر! وكيف علمت ذلك؟ قال: بالآية التي أخبرنا بها «محمد» ﷺ، فعددنا فحفظنا، فوالله، إنها ـ أي ما يستثنى ـ فقلت: ما الآية؟ قال: إنها تطلع الشمس حين تطلع، ليس لها شعاع حتى ترتفع. قال: وكان «عاصم» لينتبذ ليلتئذ من السحر، لا يطعم طعاماً حتى إذا صلى الفجر، صَعِدَ على الصومعة، فينظر إلى الشمس حين تطلع لا شعاع لها، حتى تبيضَّ وترتفع. وروى عبد الله بن جعفر، ثنا يوسف بن حبيب، ثنا أبو داود، ثنا جابر بن يزيد بن رفاعة، حدثني يزيد بن أبي سليمان، قال: سمعت «زر بن حُبَيْش» يقول: لولا مخافة سلطانكم، لوضعت يدي في أذني، ثم ناديت: ألا إن ليلة القدر في رمضان، في العشر الأواخر، في السبع الأواخر، قبلها ثلاث، وبعدها ثلاث، نبأ من لم يكذبني عن نبأ من لم يكذبه، قال أبو داود: يعني أبيَّ بن كعب، عن النبي ﷺ.

فضيلة طلب العلم:

كان «زر» شديد الحرص على تحصيل العلم والتماسه عند أهله، فقد روى عن الخلفاء الراشدين الثلاثة «عمر بن الخطاب» و«عثمان بن عفان» و«علي بن أبي طالب» ﷺ وروى أيضاً عن «عبد الله بن مسعود» و«أبي ذَرٍّ الغفاري» و«أبيّ بن كعب» ﷺ، كما كان يختلف إلى «صفوان بن عَسَّال» ليفيد من علمه ومعرفته. وقد روى أبو بكر بن محمد بن جعفر بن الهيثم، ثنا جعفر بن محمد الصائغ، ثنا محمد بن سابق، ثنا مالك بن مِغْوَل، عن عاصم، عن زر بن حُبَيْش، قال: أتيت «صفوان بن عَسَّال»، فقال: ما جاء بك؟ فقلت: جئت أبتغي العلم، قال: ما من رجل خرج من بيته ابتغاء العلم، إلا وضعت له الملائكة

أجنحتها رضاء بما يعمل. وروى أبو بكر؛ عبد الله بن يحيى الطلحي، ثنا الحسين بن جعفر القتات، ثنا مِنْجَاب بن الحارث، ثنا أبو الأحوص، عن عاصم، عن زر بن حُبَيْش، قال: حال في صدري المسح على الخفين، فغدوت على «صفوان بن عَسَّال المرادي» في أهله، فقال: ما غدا بك إليَّ يا زر!؟ طلب العلم؟ قلت: نعم. قال: أما إنه ليس من رجل يطلب العلم، إلا وضعت له الملائكة أجنحتها، رضاء بما يفعل. وروى حماد بن زيد، عن عاصم، قال: أدركت أقواماً كانوا يتخذون هذا الليل حملاً، منهم: «زر بن حبيش».

ضلوعه في العربية:

حذق «زر بن حُبَيْش» اللغة العربية، حتى بات مرجعاً موثوقاً يؤمه الأكابر يسألونه عنها، وممن كان يسأله الصحابي الجليل «عبد الله بن مسعود»، وقد جاء في حديث لمحمد بن إسحاق: ثنا حاتم بن الليث الجوهري، ثنا عبد الرحمٰن بن صالح، ثنا أبو بكر بن عياش، قال: كان «زر بن حُبَيْش» من أعرب الناس، كان «ابن مسعود» يسأله ـ يعني عن العربية ـ وفي حديث أحمد بن محمد بن عبد الوهاب، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا أبو كريب، ثنا حسين بن عليٍّ، ثنا حزم بن النعمان، عن عاصم، قال: ما رأيت رجلاً أقرأ من «زر بن حُبَيْش». وقال أحمد بن محمد بن عبد الوهاب، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا أبو كريب، ثنا حسين بن علي، ثنا حزم بن النعمان، عن عاصم، قال: ما رأيت رجلاً مثله.

وعظُه الخلفاء:

بلغ «زر بن حُبَيْش» من المكانة، أنه كان يكتب إلى الخلفاء واعظاً وربما قسا في موعظتهم واشتد، فقد روى سليمان بن أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة، ثنا علي بن عياش، ثنا زكريا بن حكيم الحنفي، عن الشعبي، قال: كتب «زر بن حُبَيْش» إلى «عبد الملك بن مروان»، وحدثنا أبو نصر، محمد بن أحمد بن إبراهيم ـ واللفظ له ـ ثنا محمد بن علي بن الهيثم، ثنا عبد الله بن محمد بن عبيد، حدثني محمد بن الحسين، ثنا شهاب بن عباد، عن سويد الكلبي: أن «زر بن حُبَيْش» كتب إلى «عبد الملك بن مروان» كتاباً يعظه فيه، وكان في آخره: ولا يطمعك، يا أمير المؤمنين! في طول الحياة ما يظهر من صحتك، فأنت أعلم بنفسك، واذكر ما تكلم به الأولون:

إذا الـــرجـــال ولـــدت أولادُهـــا وبـلـيـت مـن كـبـرَ أجـسـادُهـا
وجـعـلـت أسـقـامُـهـا تـعـتـادُهـا تـلـك زروع قـد دنـا حـصـادُهـا

فلما قرأ «عبد الملك» الكتاب، بكى حتى بَلَّ طرف ثوبه، ثم قال: صدق «زر»، لو كتب لنا بغير هذا كان أرفق. وجاء في حديث أبي بكر بن عياش، عن عاصم، عن «زر بن حُبَيْش»، عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يخْلوَنَّ رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان، ومن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ومن ساءته سيئته، وسرته حسنته فهو مؤمن»**، وقد روى هذا الحديث عن «عمر» أيضاً «عبد الله بن الزبير» رضي الله عنهم .

ما رواه عن محبة علي:

روى «زر بن حُبَيْش» بضعة أحاديث تشيد بفضل «علي بن أبي طالب» كرم الله وجهه، وتحث على محبته. فقد روى أبو بكر بن خلاد، ثنا محمد بن يونس بن موسى السلمي، ثنا عبد الله بن داود الحزبي، ثنا الأعمش، عن عدي بن ثابت، عن «زر بن حُبَيْش»، قال: سمعت «علي بن أبي طالب» يقول: والذي خلق الجنة، وبرأ النسمة، وتردَّى بالعَظَمة، إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إليَّ: (أنه لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضَنَّك إلا منافق)».

ورواه الجم الغفير عن الأعمش، ورواه شعبة بن الحجاج، عن عدي بن ثابت، ثنا محمد بن أحمد بن الحسن، ثنا أحمد بن هارون بن روح، ثنا يحيى بن عبد الله القزويني، ثنا حسان بن ثابت، ثنا شعبة، عن عدي بن ثابت، عن «زر بن حُبَيْش»، قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: «عهد إليَّ النبي ﷺ أنه لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق».

وروى كثير النواء، وسالم بن أبي حفصة، عن عدي، حدثنا محمد بن المظفر، ثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار، ثنا عبد الرحمٰن بن صالح، ثنا علي بن عباس، عن سالم بن أبي حفصة، وكثير النواء، عن عدي بن حاتم، عن «زر بن حُبَيْش»، عن علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن ابنتي «فاطمة» يشترك في حبها الفاجر والبر، وإني كتب إليَّ ـ أو ـ عهد إليَّ ـ أنه لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق»**. وقد روى هذا الحديث كثيرون جداً،

يضيق المقام عن ذكرهم.

من مرويات زر:

قال عبد الله بن جعفر: ثنا يونس بن حبيب، ثنا أبو داود، ثنا شيبان، وحدثنا أبو بكر الطلحي، ثنا الحسين بن جعفر القتَّات، ثنا مِنْجاب بن الحارث، ثنا أبو الأحوص، عن عاصم بن أبي النجود، عن «زر بن حُبَيْش»، قال: استأذن قاتل الزبير [1] على «عليٍّ» فقال «عليٌّ» كرم الله وجهه: والله ليدخَلنَّ قاتل «ابن صفية» النار! إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن لكل نبيٍّ حواريًّا، وحواريَّ الزبير**».

وقال أبو عمر بن حماد: ثنا الحسن بن سفيان، ثنا محمد بن عبيد النحاس، ثنا أبو مالك، عمرو بن هاشم، عن ابن أبي خالد، أخبرني عمرو بن قيس، عن المنهال بن عمرو، عن زر، أنه سمع «عليًّا» يقول: أنا فقأتُ عين الفتنة، لولا أنا ما قتل أهل النهر وأهل الجمل، ولولا ن أخشى أن تتركوا العمل لأنبأتكم بالذي قضى الله على لسان نبيكم ﷺ لمن قاتلهم، مبصراً ضلالتهم، عارفاً للهدى الذي نحن فيه.

وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن مخلد، ثنا محمد بن يونس، ثنا بكر، ثنا مندل بن علي عن الشيباني، عن «زر بن حُبَيْش»، عن عليٍّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**قد عفي لكم عن صدقة الخيل والرقيق، فأدُّوا صدقة ما سوى ذلك من أموالكم**».

وعن عبد الله بن جعفر، ثنا يونس بن حبيب، ثنا أبو داود، ثنا شعبة، أخبرني عاصم، عن «زر بن حُبَيْش»، عن أبي بن كعب: أن النبي ﷺ قال: «**إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن**»، قال: فقرأ عليه ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [البينة: ١]. وقرأ عليه: (إن ذات الدين عند الله الحنيفية، لا المشركة، ولا اليهودية، ولا النصرانية، ومن يعمل خيراً فلن تكفروه). وقرأ عليه: (لو كان لابن آدم واد من ذهب لابتغى إليه ثانياً، ولو أعطي ثانياً لابتغى إليه ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب).

---

(١) هو عمرو بن جُرموز، قتله غدراً بعد انسحاب «الزبير» من القتال يوم الجمل.

تأخير النبي ﷺ العشاء:

قال القاضي أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم ـ إملاء ـ ثنا محمد بن عبد الله بن الحسن، ثنا شيبان بن فروخ، ثنا عكرمة بن إبراهيم، ثنا عاصم بن بهدلة، عن «زر بن حُبَيْش»، عن عبد الله بن مسعود، قال: أخَّر رسول الله ﷺ العشاء ذات ليلة، ثم خرج إلى المسجد، وإذا الناس ينتظرون الصلاة، فقال: **«أما أنه ليس من ملة من أهل الأديان أحد يذكر الله في هذه الساعة غيركم»** قال: ونزلت هذه الآية ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ [آل عمران: ١١٣]. رواه نصر القصاب، عن عاصم نحوه، ورواه الأعمش، عن «زر» نحوه. وروى سليمان بن أحمد، ثنا أبو حبيب؛ يحيى بن نافع المصري، ثنا سعيد بن أبي مريم، ثنا يحيى بن أيوب، ثنا عبد الله بن زجر، عن الأعمش، عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود، قال: احتبس رسول الله ﷺ ذات ليلة، كان عند بعض أهله، أو نسائه، فلم يأتنا لصلاة العشاء الآخرة حتى ذهب الليل، فجاءنا، ومنا المصلي، ومنا المضطجع، فبشَّر، وقال: **«إنه لا يصلي هذه الصلاة أحد من أهل الكتاب»**، فنزلت ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

ما جاء في تعاهد القرآن:

روى عبد الله بن جعفر، ثنا إسماعيل بن عبد الله، ثنا مالك بن إسماعيل النهدي، حدثنا سليمان بن أحمد، ومحمد بن أحمد بن الحسن، قالا: ثنا بشر بن موسى، قال: ثنا عبد الله بن صالح العجلي، قال: ثنا زهير، ثنا شعبة، عن خالد، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ، قال: **«تعاهدوا هذا القرآن، فإنه وحشي، ولهو أسرع تفصِّياً [1] من صدور الرجال من الإبل من عُقُلها تنزل إلى أوطانها، ولا يقول أحدكم: نسيت آية كيت وكيت، بل هو نُسِّيَ»**.

ما حدث يوم وفاة النبي ﷺ:

قال أبو بكر بن خلاد، ثنا الحارث بن أبي أسامة، ثنا معاوية بن عمر، ثنا زائدة ح وثنا أبي، ثنا محمد بن غير، ثنا إسماعيل بن عمرو البجلي، ثنا شيبان بن عبد الرحمٰن وزائدة، قالا: عن عاصم بن بهدلة، عن «زر بن حُبَيْش»، عن

(١) التفصِّي: الذهاب.

عبد الله بن مسعود، قال: لما قبض رسول الله ﷺ، قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير. فقال عمر بن الخطاب: أليس قال النبي ﷺ: «**مروا أبا بكر يصلي بالناس**»؟ فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر؟ فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر. فيالله، ما أعظم الأنصار! وما أسرع استجابتهم للحق سواء أصدر عن رسول الله ﷺ، أم عمن تلاه!

الصلاة مطهرة من الذنوب:

روى سليمان بن أحمد، ثنا الحسن بن علي، ثنا محمد بن الخليل الخشني، ثنا أيوب بن حسان الجرشي، عن هشام بن الغاز، عن أبان ـ يعني العطار ـ عن عاصم، عن «زر بن حُبَيْش»: أنه حدثه عبد الله بن مسعود، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «**يبعث مناد عند حضرة كل صلاة، فيقول: يا بني آدم! قوموا فأطفئوا عنكم ما أوقدتم على أنفسكم، فيقومون فيتطهرون، فتسقط خطاياهم من أعينهم، ويصلون فيغفر لهم ما بينهما، فإذا حضرت العصر فمثل ذلك، فإذا حضرت المغرب فمثل ذلك، وإذا حضرت العتمة مثل ذلك، فينامون وقد غفر لهم**»، ثم قال رسول الله: «**فمدلج في خير، ومدلج في شر**».

بشرى لرسول الله ﷺ بفاطمة وابنيها:

عن أبي بكر بن خلاد، ثنا محمد بن غالب بن حرب، ثنا الحسن بن عطية البزار ثنا إسرائيل بن يونس، عن ميسرة بن حبيب، عن المنهال بن عمرو، عن «زر بن حُبَيْش»، عن حذيفة بن اليمان، قال: قالت لي أمي: متى عهدك بالنبي ﷺ؟ قلت: ما لي به عهد منذ كذا وكذا، فنالت مني، فقلت لها: دعيني فإني آتيه فأصلي معه المغرب، وأسأله أن يستغفر لي ولك. قال: فأتيته وهو يصلي المغرب، فصلى حتى صلى العشاء، ثم انصرف وخرج من المسجد فسمعت بَعَرضٍ عَرَضَ له في الطريق، فتأخرت، ثم دنوت، فسَمِع النبي ﷺ نقيضي ـ أي: صوتي ـ من خلفه، فقال: «**من هذا؟**»، قلت: حذيفة، فقال: «**ما جاء بك يا حذيفة؟**»، فأخبرته، فقال: **غفر الله لك ولأمك، يا حذيفة! أما رأيت العارض الذي عرض؟**» قلت: بلى، قال: «**ذاك مَلَكٌ لم يهبط إلى الأرض قبل الساعة، فاستأذن الله في السلام عليَّ، وبشَّرني بأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة**». تفرد به ميسرة، عن المنهال، عن زر، وخالف قيس بن الربيع إسرائيل، فرواه عن ميسرة، عن عدي بن ثابت، عن

زر. ورواه أبو الأسود؛ عبد الله بن عامر مولى بني هاشم، عن عاصم، عن زر، عن حذيفة مختصراً.

التحذير من الشهرة والغش:

جاء في حديث إبراهيم بن أحمد بن أبي حصين، ثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا روح بن عبد المؤمن، ثنا وكيع بن محرز، ثنا عثمان بن جهم، عن «زر بن حُبَيْش»، عن أبي ذر، عن النبي ﷺ، قال: «**من لبِسَ ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه متى وضعه**». وروى إبراهيم بن أحمد بن أبي حصين، ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي، ثنا إبراهيم بن زياد العجلي، ثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله بن مسعود، قال: سئل رسول الله ﷺ: ما الغِنَى؟ قال: «**اليأس مما في أيدي الناس**». وكان ﷺ قد توعد أهل الغش والخداع والمكر بالنار، فقد روى أبو أحمد؛ محمد بن أحمد الجرجاني، في جماعة قالوا: ثنا الفضل بن الحباب الجمحي، ثنا عثمان بن الهيثم، ثنا أبي، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من غشنا فليس منا، والمكر والخداع في النار**». وفي رواية ثانية عنه ﷺ: «**من غَشَّ فليس لنا**»، وهذه الرواية أعم من الرواية التي سبقتها، لأنها تشمل الخلق كافَّة، على اختلاف شرائعهم.

باب التوبة:

روى أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن، ثنا بشر بن موسى، ثنا أبو عبد الرحمٰن المقري، ثنا سعيد بن أبي أيوب، حدثني عبد الرحمٰن بن مرزوق، عن «زر بن حُبَيْش»، عن صفوان بن عسَّال المرادي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**فتح الله باباً للتوبة من المغرب عرضه مسيرة سبعين عاماً لا يُغْلَقُ حتى تطلع الشمس من نحوه**». «عبد الرحمٰن بن مرزوق» دمشقي، تفرد بالرواية عنه سعيد بن أبي أيوب، هذا الحديث رواه الأئمة أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو بكر بن أبي شيبة، عن أبي عبد الرحمٰن المقري، عن سعيد، عنه.

مداراة المنافقين:

روى أبو بكر بن خلاد، ثنا الحارث بن أبي أسامة، ثنا الخليل بن زكرياء، ثنا هشام الدستوائي، عن عاصم بن بهدلة، عن «زر بن حُبَيْش»، عن صفوان بن

عسَّال المرادي، قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فأقبل رجل، فلما نظر إليه رسول الله ﷺ، قال: «**بئس أخو العشيرة، وبئس الرجل**»، فلما دنا منه أدنى مجلسه، فلما قام وذهب، قالوا: يا رسول الله! حين أبصرته، قلت: (**بئس أخو العشيرة، وبئس الرجل**)، ثم أدنيت مجلسه، فقال رسول الله ﷺ: «**إنه منافق، أداريه عن نفاقه، فأخشى أن يفسد على غيره**».

تلاميذه من التابعين:

تتلمذ على «زر بن حُبَيْش» كثير من التابعين، من أبرزهم القارئ «عاصم بن أبي النجود» الذي يروي عنه «حفص»، ومن تلاميذه أيضاً «إبراهيم النخعي».

وفاته:

كان «زر» قد اتخذ الكوفة سكناً له، وقد روى محمد بن إسحاق، عن كريب، عن محمد بن عبيد، عن إسماعيل، قال: رأيت «زراً»، وقد أتى عليه عشرون ومائة سنة، وإن لَحْيَيْه ليضطربان من الكِبَر. وفي سنة ٨٣١هـ/ خرج مع الفقيه «عبد الرحمٰن بن الأشعث» ضد الطاغية «الحجاج» فاستشهد في معركة «دير الجماجم»، رحمه الله تعالى.

obeikandl.com